الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحي- جيجل

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

تجليات المكان في الرواية الجزائرية العربية

رواية الإعصار الهادئ لبوفاتح سبقاق-أنموذجا-

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: نقد عربي معاصر

إعداد الطالبتين:

- فريدة بوالميس
- سعاد بوجميعة

إشراف الأستاذ:

- د. صلاح الدين باوية

أعضاء لجنة المناقشة:

1-الأستاذ (ة):	عباس حشاني	.....	رئيسا
2-الأستاذ (ة):.....	صلاح الدين باوية	.....	مشرفا
3- الأستاذ (ة):.....	عبد المالك بوتيوتة	.....	ممتحنا

السنة الجامعية:1437/1436ه-2016/2015م

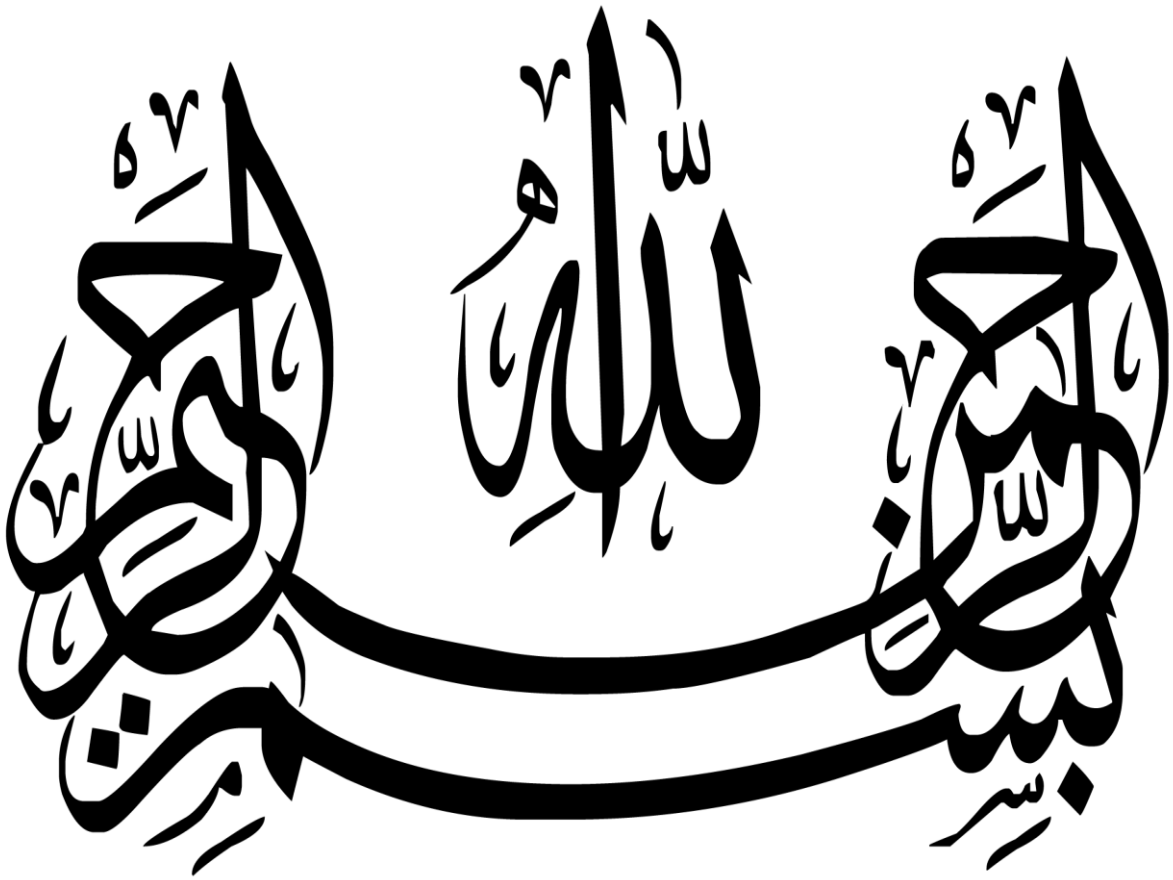
بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

* الحمد لله والشكر أولا وأخيرا لله عزوجل الذي أعاد لنا الأمل في لحظة اليأس ومدنا بالصبر والعزيمة لإكمال مشوارنا الجامعي الذي توج في الأخير بهذه المذكرة

* إلى أبائنا وأمهاتنا الذين كانوا شمعة أمل أنارت دروبنا وخطانا ومهدت طريق نجاحنا إلى كل خال على قلوبنا وعلى سبيل العرفان والامتنان نتقدم بالشكر وفائق التقدير والاحترام أسمى المعاني إلى الأستاذ المشرف الدكتور:

-" صلاح الدين باوية " الذي لم يبخل علينا بنصائحه العلمية لإتمام هذه المذكرة

كما نشكر كل أستاذ ترك بصمة في إنجاز هذا العمل وكل من شارك بالكثير أو بالقليل من قريب أو من بعيد في إنجاح هذه المذكرة.

لكل هؤلاء شكرا جزيلا.

مقدمة

تعد الرواية من أحدث أجناس النثر التي عرفها العرب في العصر الحديث، حيث نجدها من الأجناس الأدبيّة التي تحظى بشعبية كبيرة، والأكثر رواجًا وتأثيرًا على المتلقي، لأنها تعبر عن اهتمامات الإنسان المعاصر ومشاكله، والرواية الجزائريّة باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الرواية العربيّة استطاعت أن تكسب مكانًا في عالم الأدب والغوص في قضايا الواقع، رغم أنها حديثة النشأة مقارنة عند بعض الدول العربية ،وهذا راجع لأسباب تاريخية ،إضافة إلى أن الجزائر كانت تحت وطأة الاستعمار الفرنسي إذ كان معظم الكتاب الجزائريين مهتمين بالقضية الآنية وهي الحرية، ولم تتح لهم الفرصة للكتابة الفنيّة، ورغم ظهور هذا الجنس الأدبي متأخرًا في الجزائر، فقد استطاع بعض الروائيين أن يجسدوا طموحاتهم ومعاناتهم الواقعيّة، لأن الرواية مرآة عاكسة للمجتمع، واستطاعت أن تفرض مكانة مرموقة ضمن النصوص الروائية العربية والعالمية.

ولأن الرواية نوع أدبي، فإن المكان يعد من عناصرها الأساسيّة، باعتباره عنصرا مهمًا من عناصر البنية السرديّة، ودعامة من دعائم البناء الروائي، إذ يساعد على الإدراك العقلي للأشياء، وتوظيف المكان في الإبداع الروائي من الوسائل الجماليّة والفنيّة ،لما يحمله من سمات إبداعيّة وعواطف إنسانيّة، تجعل من العمل الروائي وحدة متكاملة، وهو العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية بعضها البعض، ومكونًا أساسيًا في البنية السرديّة، يتأثر بعناصرها ويؤثر فيها، وصلة الإنسان بالمكان صلة ذات أبعاد عميقة، وعلاقته به علاقة جدلية مصيرية، إذ ما من حركة في هذا الكون إلاّ وهي مقترنة بمكان ما، بل يستحيل تصور لحظة من لحظات الوجود الإنساني خارج سياق المكان، فهو جزء لا يتجزأ من كل الموجودات وحاضر بكثافة في حركتها وسكونها.

وقد ظل عنصر المكان على الرغم من أهميّته في النصوص الروائيّة، مغيبًا إلى حد بعيد عن الدراسات الأدبيّة والنقديّة في عالمنا العربي تحديدا، إذ لم يكن محط اهتمام سوى خلال العقدين الأخيرين تقريبا، وعلى الرغم مما حفلت به كثير من النصوص الأدبية على الأزمنة من دلالات متنوعة، سواء في مستوى

علاقات المكان مع بقية عناصر المنظومة السردية الأخرى أو في مستوى آليات تشكيله ووصفه وتوظيفه، فقد انصب جل اهتمام الدارسين على مكونات العناصر الروائية الأخرى، وأولت اهتماما كبيرا للعناية بالزمن والشخصيات والأحداث وجمالية اللغة، وأغفلت التركيز على عنصر المكان بالرغم من أهمية البالغة في النصوص الروائية من خلال تحديد مواقع الشخصيات، ورسم مواقفها وأفعالها، ونمو الأحداث وتطورها ، فهو المرتكز الذي ينهض عليه بناء الرواية وبه تضمن تماسكها الفني.

ومرد اختيارنا لهذا الموضوع إلى جملة أسباب ذاتية وموضوعية نذكر منها: ميلنا إلى الرواية بصفة عامة والجزائرية على وجه الخصوص، ومحاولتنا الجمع بين المكان والرواية، لأن هذه الأخيرة خير ممثل للمكان بكل تجلياته ومظاهره ، بحكم طبيعتها وقربها من الواقع، فهي تحتاج إليه لتشيّد عالمها، كما أنه محتاج إليها لتبرز مظاهره وتكشف عن دلالته ووظائفه، فكل منها مكمل للآخر، ولما يتميز به المكان من حضور كثيف في الذات الإنسانيّة وفي كل مناحي الحياة، أصبح في حاجة ماسة إلى مزيد من الدراسات، للكشف عن دلالته باعتباره وسيلة يقدم من خلالها الروائي مواقفه واتجاهاته.

والدراسة تحدوها جملة من الإشكالات، حاول البحث إضاءتها حيث تتمحور في الإجابة عن ماهية المكان الروائي؟ وما مدى اختلافه مع الفضاء؟ ما هي أنواعه ؟ ما علاقته بالإبداع الروائي؟ وكيف صاغ الروائي " بوفاتح سبقاق " المكان في ظل سرده لروايته؟ وما الدلالات التي يومئ إليها الروائي وراء استدعائه للمكان في رواية الإعصار الهادئ؟.

وبغية الإلمام بهذا الموضوع والوقوف على نقاطه الأساسية اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي مع بعض التحليل.

وانطلاقا من هذه الرؤية قسمنا بحثنا إلى، مدخل وفصلين بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة وملحق أوردنا فيه التعريف بالروائي " بوفاتح سبقاق " مع مضمون الرواية ، أما الفصل الأول فقد خصصناه للجانب النظري،

وقد قسمناه إلى مبحثين ، المبحث الأول تحدثنا فيه عن حفريات المكان وأهميته في العمل الروائي، أما البحث الثاني فخصصناه للحديث عن أنواع المكان وعلاقته بالأحداث والشخصيات، أما الفصل الثاني فقد كان للجانب التطبيقي وقسم إلى مبحثين، المبحث الأول كان لبيان المكان المغلق تجلياته ودلالاته في رواية " الإعصار الهادئ" أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه تجليات المكان المفتوح ودلالاته في رواية" الإعصار الهادئ ".

وقد اعتمدنا في دراسة هذا المتن الروائي على مجموعة من المصادر والمراجع من بينها:

- بوفاتح سبقاق ،رواية الاعصار الهادئ.
- حميد لحمداني ،بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي.
- حسن بحراوي ،بنية الشكل الروائي.
- ياسين النصير ،الرواية والمكان.

ومن الكتب المترجمة التي أفادتنا في بحثنا وأمدتنا بمعلومات كثيرة حول عنصر المكان في المعمار الروائي نشير إلى كتاب :

- جماليات المكان لغاستون باشلار.

كما لا تنسى المجلات كمجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري.

ولا يمكن لأيّ بحث مهما بلغت درجته العلمية أن يكون بمنأى عن صعوبات وعوائق تعترض طريقه، وعلى هذا الأساس واجهتنا مصاعب في هذا البحث وأولها في اختيار عنوان الموضوع، صحيح أن اهتمامنا كان منصبًا على الرواية الجزائرية لكن لم نستقر على موضوع واحد، ولأنه يشترط أن يكون البحث الذي يقدمه الباحث جديدًا، أو يختار موضوع طرق من قبل بشرط الإضافة المفيدة والمثيرة فيه، وبمساعدة أستاذنا وقع اختيارنا على موضوع" تجليات المكان في الرواية الجزائرية العربية، رواية الإعصار الهادئ لبوفاتح سبقاق

نموذجا، وهناك صعوبات أخرى تقف دائما كحجرة عاثرة في طريق الباحث والتي يعرفها الجميع وهي صعوبة الحصول على المراجع التي تفيد هذا البحث.

وأخيرا ما كان لهذه الدراسة أن تظهر بهذه الصورة لولا فضل الله وتوفيقه ، ثم الدعم والمساعدة اللذين حضينا بهما من طرف الأستاذ المشرف على هذا البحث، الأستاذ الدكتور صلاح الدين باوية، من خلال توجيهاته وإرشاداته ونصحه، فلا يسعنا إلا أن نتقدم له بوافر الشكر وأصدق التقدير، كما لا ننسى أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع أعضاء الطاقم الإداري لكلية الآداب واللغات وعلى رأسها السيد عميد الكلية ،وكذا السيد رئيس قسم الأدب العربي ،وعمال المكتبة وكل ،أساتذة قسم الأدب العربي دون استثناء.

مدخل

تعد الرواية من أكثر الأجناس الأدبية إستعابا للواقع بمتغيراته، ولهذا أصبح الحديث اليوم عن هذا الجنس الأدبي حديثا مهما للغاية، حتى قيل إن الرواية ديوان العربي الحديث، فكانت هذه الأخيرة بمثابة وعاء وإناء تصب فيه أفكار ورغبات وأحاسيس الإنسان في صراعه مع واقعه ومحيطه، وعليه كان لزاما على الدراسات النقدية والتحليلية أن تهتم بالجانب المضمون ونوعيته، باعتبار الرواية امتدادا للأمكنة والأزمنة المتنوعة .

حيث نجد تباينا واختلافا في زمن ظهور الرواية، فمن الدارسين من ردها إلى العصر القديم ومنه من قال أن الرواية لم تظهر إلا مع رواية دون كيشوت في القرن التاسع عشر، ومن الدارسين من حصر ظهور الرواية في عصرها الذهبي في القرن التاسع عشر، ويبدوا أن الرواية كجنس أدبي ظهر أولا في فرنسا في القرن الثاني عشر، وفي هذا الصدد يقول أحد الدارسين: « إن الرواية كما تفهم الآن عندنا وعند غيرنا حاصل من ترجمة اللغة الفرنسية Roman وهي لفظة من أصل لاتيني، ظهرت في بداية القرن الثاني عشر، وأطلقت أول أمرها على لغة السواد الأعظم من الناس لتمييزها من اللاتينية التي هي اللغة الفصحى الراقية ...ومن هذه اللغة الهجينة كانت نواة اللغة الفرنسية أنداك» [1]؛ فقد مر هذا الفن الروائي بمراحل عديدة عبر فترات زمنية مختلفة، فكان من نصيب فرنسا أن تتوج باحتضان هذا الفن لمدى غناه وتجاوب الجنس البشري معه، فعدوه حلقة فيما بينهم.

أما نشوء الرواية في الأدب العربي، فكان مواكبا لبداية عصر النهضة الحديثة، و لم يعرفها الأدباء في القديم، وما كان متداولا في إطار الرواية كسيرة عنترة والزبير سالم وغيرهما من أخبار بطولية كانت تقص للتسلية وتمضية أوقات الفراغ أثناء الاجتماعات، ومما لا شك فيه أن لاتصالنا بالغرب الأثر الكبير في انتشار هذا الفن في أدبنا العربي، ويرجع الفضل في ظهور الرواية إلى عاملين أساسيين هما الصحافة والترجمة .

[1] الصادق قسومة، الرواية مقوماتها ونشأتها في الأدب العربي الحديث، مركز النشر الجامعي، تونس، دط، 2000 ، ص 16 .

وتعتبر الرواية شكلا من الأشكال المتأخرة وأحدث الفنون جميعا فهي « ذلك النوع الأدبي الجديد، الذي بدأ يثبت جدوره الفنية في الأدب العربي الحديث مع مطلع القرن العشرين – أخدت تنمو على استحياء – إلى أن شكلت تاريخا أدبيا متميزا، ثم بدأت تزاحم فن الشعر والمسرح، حتى أصبحت اليوم أهم نوع أدبي»[1] و لم تبدأ سيرتها إلا في القرن الثامن عشر « وقد أسهم فيها الكثير من الأدباء والنقاد الجامعيين أمثال محمد حسين هيكل ، طه حسين، ويحي حقي ...وغيرهم »[2]؛ وقد أسهم كل منهم في دفع عجلة هذا الفن .

أما في الجزائر فقد بدأت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية متعثرة جدا في ظل أجواء القهر التي عانتها الجزائر في ظل الاستعمار، فهي من مواليد السبعينيات بالرغم من وجود بذور ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، و « يمكن أن نلحظ فيها بدايات ساذجة للرواية العربية الجزائرية سواء في موضوعاتها أو في أسلوبها وبنائها الفني، فهناك قصة مطولة بعض الشيء كتبها " أحمد رضا حوحو " سماها " غادة أم القرى "، ثم تلتها قصة كتبها " عبد المجيد الشافعي " أطلقها عليها عنوان " الطالب المنكوب " فهي ساذجة المضمون مثل طريقة التعبير فيها » [3] ؛ وقد جاءت كتابات هؤلاء الأدباء حاملة في طياتها آلام الشعب الجزائري، فكانوا شهودا على إثم الاستعمار وإجرامه وموته في النهاية « وليس سرا إذا أن يكون " محمد ذيب " عرافا صادق النبوة في أعماله الروائية عموما والثلاثية التي تنبأت بالثورة في سنة 1952 مع صدور رواية " الدار الكبيرة التي تلتها " الحريق " و" النول "، وبذلك ولذت إلياذة الجزائر ، أو كما يسميها الشاعر الفرنسي " لويس أراغو " مذكرات الشعب الجزائري ، فاستحق " محمد ذيب " اسم " بلزاك الجزائر" عن جدارة »[4] ؛ إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال تناول نشأة وتطور الرواية الجزائري بمعزل عن الوضع الاجتماعي والسياسي للشعب

---

[1] عبد الرحيم الكردي ، السرد في الرواية العربية المعاصرة، الرجل الذي فقد ظله نموذجا، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط1، 2006، ص6.

[2] المرجع نفسه، ص 6.

[3] عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط ، 1983 ، ص 199، 200.

[4] واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص70.

الجزائري، قد كان لتاريخ الشعب الجزائري وقع كبير في الأعمال الأدبية وخاصة الرواية إذ نجد معظم الروايات كانت انعكاسا للواقع المعاش .

استطاعت الرواية من خلال أهميتها في تدعيم الخطاب النقدي، واستحواذها على قيمة وسط العمل السردي ومنافستها للفنون الأخرى كالشعر والقصة والمسرحية...وغيرها من الفنون الأخرى ، أن تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه وترتدي في هيئتها ألف رداء « وعلى الرغم من قربها واهتمام المفكرين والأدباء بها، لم تحظ لتعريف محدد لها ، بل تعددت التعريفات وتباينت نتيجة لاختلاف الدارسين والنقاد في الزاوية التي ينظرون إليها » [1]؛ وبتعدد الدارسين للفن الروائي أدى إلى تعدد واتساع التعريفات حول هذا المصطلح .

وبالتالي فالرواية تتخذ في كل عصر مضمونا وخصائصا فنية جديدة « وقد شهدت الرواية في ذاتها وفي مساراتها اختلافات هامة ومشارب متنوعة بتنوع الأزمنة والأمكنة، كما مارسها أعلام كثيرون، فاكتست من هذا كله أهمية جعلتها جديرة الاهتمام والتأمل، لكنها صارت أيضا متسعة كما وكيفا اتساعا جعل دراستها مستحيلة »[2]؛ ولهذا تعد الرواية من الفنون التي تكتسي أهمية بين الأجناس الأدبية الأخرى، كونها تتسع لعديد من العناصر والمكونات التي تساهم في اتساقها لأنها تضم الأمكنة والأزمنة والشخصيات، التي لا يكتمل عنصر من هذه العناصر إلا بوجود الآخر .

فالرواية عالم شديد التعقيد متناهي التركيب، إنها « فن أدبي مستقل، له خصوصية وذاتية، إذ هو فن

يتسع لدراسة العلاقات المتشابكة والمتشابهة داخل المجتمع فيفرز لنا النماذج البشرية في شكل نقبله إذا تمثلت فيه ملامح الخير والبطولة والدعوة إلى الإصلاح وشكل نحاول نتجنبه إذا بدا وكأنه رمز للتخلف والفساد والدعوة إلى الرذيلة، على ذلك فالفن الروائي يجنح غالبا إلى التهذيب والإصلاح، ويقدم العلاج الأمثل،

[1] نادر أحمد عبد الخالق، الرواية الجديدة، بحوث ودراسات والتطبيقات، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق ، ط1، 2009، ص22.

[2] الصادق قسومة، الرواية مقوماتها ونشأتها في الأدب العربي الحديث، ص 16.

ويساعد في حل المشاكل الإنسانية والاجتماعية»[1]؛ ومن ثمة فالرواية فن يتسع لدراسة وتقييم العلاقات داخل المجتمع، فهي الداعية إلى إصلاح الفساد بين أفراد المجتمع من خلال تناولها للمشاكل التي تعرقل الحياة الاجتماعية للإنسان .

والرواية « فن أدبي له شكل مغاير للأشكال الأدبية الأخرى، كذلك نجد الصلة وثيقة بينه وبين المجتمع، هذه الصلة تبدو واضحة في النماذج والأشخاص التي تحرك الأحداث وتقودها إلى الأمام، ويكون بذلك مرآة المجتمع ، يهتم لصراع الفرد والجماعات ويكشف الأنماط الوجدانية المختلفة الكامنة داخل الشخصية »[2]؛ إذ تعتبر محور العلاقة بين الذات والعالم، وترتبط بالمجتمع وتقيم معمارها على أساسه، إذ نجد « للرواية مهمة كبيرة في توجيه المجتمع، بل إن بعض الأنواع الروائية نشأت في عصر اقتضى ضرورة وجوده من ذلك القصص التاريخي، كما أشار إلى ذلك جملة كبيرة من النقاد الذين عزوا ظهور الجنس إلى جنس قومي ووطني تطلبته أحوال البلاد » [3]؛ فللرواية وظيفتها الإنسانية والاجتماعية وتتميز بالكلية والشمولية في تناول الموضوعات ، وترتبط بالمجتمع، وتقسم معمارها على أساسه، وتفسح المجال لتجاوز المتناقضات.

وهي جنس من أجناس السرد، أو هي فن نثري يتناول مجموعة من الأحداث التي تنمو وتتطور وتقوم بها شخصيات في زمان ومكان ما و« لا يمكن الحديث عن قيم إيديولوجية في رواية ما، دون الوقوف أمام الشخصيات التي تتحرك داخل هذا العمل....لأن هذه الشخصيات في حركتها وتلفظها داخل العمل الروائي، تأتي للكشف عن خلفيات أسست سابقا»[4]؛ فتشكيل الشخصية بقيمها الإيديولوجية في ذلك السياق لا يمكنها أن تتفرد بمعزل عن نمط البناء، أو عن آلية السرد لأنها مرتبطة أساسا بالعمل الروائي.

---

[1] نادر أحمد عبد الخالق، الرواية الجديدة، ص 22.

[2] المرجع نفسه، ص 23.

[3] المرجع نفسه، ص 26.

[4] عادل ضرغام ، في السرد الروائي، الدار العربية للعلوم الناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص 24.

وتعد دراسة السرد الروائي « المدخل المناسب الذي يمكن من خلاله النفاذ إلى جوهر النص الروائي، غاياته ووسائله، باعتبار السرد أحد جوانب المظهر الحسي الملموس في التجربة الروائية، والذي يمكن من خلاله تناول الرواية تناولا موضوعيا، قائما على أسس واضحة وقريبة من الأسس العلمية، وتستند مثلها على شواهد مادية »[1]؛ ولعل الهدف الأسمى من دراستنا هذه هو الكشف عن أحد مقومات السرد في الرواية الجزائرية،وإبراز أهميته وتقنياته، وتحليله تحليلا منهجيا منضبطا باعتبار المكان أحد العناصر المهمة في النص الروائي، ومن ثمة فإن دراسته تعمل على كشف المضامين والدلالات التي يحملها هذا العنصر في النص الروائي .

من كل هذا فإن بحثنا المتمحور حول " تجليات المكان في الرواية الجزائرية العربية " هو بحث في المكان المتجسد في الرواية، باعتباره يساهم بعناصره في إثراء جزئيات الأحداث الصغيرة بجرياتها في الوسط المعبر عنه، بحيث تعكس هذه الأخيرة نظرة فنية تتمثل في تناسق الأحداث مع الأماكن المولدة لها، هذه الأحداث والجزئيات الصغيرة تتكامل في ما بينها لتشكل قيمة فنية عاكسة جماليات العمل الروائي المقصودة أو المترائي تحقيقها، وإيصالها إلى المتلقي في شكل تقنيات جمالية يوظفها السارد في شكل إبداع أدبي.

لذا يتلخص المكان بأنه: « الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ولذا فشانه شأن أي إنتاج إجتماعي آخر يحمل جزءا من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه، ومنذ القدم حتى الوقت الحاضر كان المكان هو القرطاس المرئي والقريب الذي سجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه، ومخاوفه وأسراره، وكل ما يتصل به وما وصل إليه من ماضيه ليورثه إلى المستقبل »[2]؛ بمعنى أن المكان في العمل الفني شخصية متماسكة في الذات الاجتماعية، فهو جوهر العمل الفني الذي تزداد قيمته كلما تداخل معه، و« من

[1] عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية العربية المعاصرة، ص 8.

[2] ياسين النصير، الرواية والمكان، ص 70.

خلال الأماكن نستطيع قراءة سيكولوجية ساكنية وطريقة حياتهم وكيفية تعاملهم مع الطبيعة »[1]؛ فكل مكان من الأمكنة بمثابة دلالة لمحاكاة الأشياء في نفس الكاتب وفي النفس الاجتماعية كونها مؤثرة وفاعلة لها.

والمكان موجود ولا يمكن نفيه أو إنكاره ما دمنا نشغله ونتحيز فيه وندركه، فهو في كل شبر حولنا هنا وهناك، هو الوعاء الذي يجمع الحدث والشخصية وغيرهما من عناصر الرواية، فأهميته في بناء العالم الروائي لا تختلف عن أهمية الزمان والشخوص، حتى « غدت الرواية الحديثة لوحات وصفية متراصة وتستحضر هذه اللوحات المكان في صور مرئية محسوسة، وكذلك الأشياء أثناء تفاعلها ونموها، ومن ثمة فإنها تستحضر عن طريق الوصف أيضا الزمان استحضارا ضمنيا يشبه استحضار اللوحات الفنية له »[2]؛ فالمكان صورة إنزياحية ذهنية تطبع في شخصية بكل انفعالاتها.

[1] ياسين النصير، الرواية والمكان ، ص 70 .

[2] عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية المعاصرة، ص 192.

الفصل الأول

يهدف هذا الفصل إلى محاولة إعطاء مفهوم للمكان الروائي وتحديد أهميته في بناء الخطاب الروائي، وسيرمي هذا الفصل إلى التطرق لبعض النظريات والآراء التي عالجت موضوع المكان وتناولته بالدقة.

ومن المعلوم أن المكان الروائي يكون مصاحبا للنص بل وينشأ معه،سيتم تتبع مسيرته وتطوره داخل الرواية، ومحاولة إبراز قيمته وما مدى تفاعله مع باقي العناصر الروائية وكيفية تأثرها به، ونوعية الدلالة التي يحملها مع مثل هذه العناصر، بغية الخروج بنتيجة تتعلق بطرق اشتغال هذا المكون في الرواية.

المبحث الأول: حفريات المكان وأهميته في العمل الروائي.

المطلب الأول: مفهوم المكان لغة واصطلاحا.

أولا:لغة

إن الدراسات الحديثة تقتضي من أي باحث إذا ما أراد أن تكون دراسته قائمة على منهج علمي، فما عليه إلا الانطلاق من المعاجم اللغوية، التي تعد في تصورنا بمثابة مصادر رئيسية ومفاتيح أولية نلج من خلالها إلى حقيقة المصطلحات التي بفضلها تتحدد ماهية أي حقل من الحقول المعرفية، وفي ضوء هذا التصور لا يمكننا استيعاب دلالة " المكان " وفهمه فهما دقيقا إلا بالعودة إلى جدره اللغوي الذي اتفق عليه معظم اللغويين العرب.

فقد جاء في" لسان العرب " مادة " مكن": « المكان: الموضع، والجمع أمكنة كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع والعرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك، واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه، وإنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة أصلية »[1]، فقد أورد ابن منظور

لفظ " مكان" تحت الجذرين اللغويين " كون " من الكون أي الحدث ، والجدر اللغوي " مكن".

[1] أبو الفضل جمال الدين مكرم بن منظور، لسان العرب، مج 13، دار صادر، بيروت، ط1، 1990، ص414.

كما جاء في " المعجم الوسيط": « المكان: المنزلةُ، يقالُ: هو رفيعُ المكانِ والموضع جمعُ أمكنةٍ، والمكانةُ: المكان بمعنية السابقين.»[1].

فالمكان في المعجم الوسيط حمل مجموعة من الدلالات منها: المنزلةُ و الموضعُ، في حين لوعدنا إلى مؤلف بطرس البستاني" محيط المحيط" لوجدناه يتفق مع المعجم الوسيط ، إذ قال المكان : « المَوْضِعُ أو هُو مَفْعَلُ من الكون ، جمع أمكنةٍ ،وأماكنُ وأمكنَ قليلاً، ويقال : هذا مكانُ هذا أي بَدلهُ، وكان من العلم والعقل بمكان أي: رتبةٍ ومنزلةٍ »[2]

ويذهب" الخليل ابن احمد الفراهيدي" إلى أن: «المكان في أصل تقديرِ الفعلِ: مفعلٌ، لأنه موضعٌ للكينونة غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى الفعال، فقالوا: مكنَّا لهُ، وقد تمكَّنَ، وليس بأعجب من تمسكن من المسكين، والدليل على أن المكان مفعلٌ، أن العرب لا تقول هو منَّ مكان كذا وكذا إلاّ بالنصب»[3].

وفي التنزيل العزيز وردت لفظة مكان بمعنى المستقر ومنها قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾[4]؛ أي اتخذت لها مكانا نحو الشرق، وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [5]، ووردت بمعنى المنزلة الرفيعة في آيات عديدة منه قوله تعالى:﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾[6].

فإذا ما أقمنا ما يشبه الموازنة بين النُّصوص السابقة، فإننا نلمس على العموم معانٍ متقاربة تمثلت في الموضوع، المنزلة، الثبات، المقام، المحل، الحيّز، التواجد في مكان ما.

وعلى الأرجح أن يكون " المكان " مشتقاً من الجذر اللغوي " كون " على وزن مفْعَل من الكون

---

[1] إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية، للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، ج1، د ط، د.س، ص 806.

[2] بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، د،ط، 1987، ص 859.

[3] الخليل ابن احمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية، لبنان، ج4، ط1، 2003، ص 161.

[4] سورة مريم ، الآية 16.

[5] سورة مريم، الآية57.

[6] سورة ق، الآية41.

كموضع ومقعد، والمكان جمع أمكنة، وجمع الجمع أماكن وهو مفعل من الكون، فالمكان يحمل دلالة الإخبار على حدوث ووجود شيء ما؛ إذن هو الموضع الثابت المحسوس القابل الإدراك.

وللمكان مرادفات تستعمل للدلالة عليها، حملتها إلينا معاجم اللغة العربية من بينها:الفضاء، المحل، الموقع، المجال، الخلاء، الملأ ، البيئة ...وغيرها من الألفاظ المتقاربة في المعنى.

ثانيا: اصطلاحا

إن تحديد المصطلح وتبيين معالمه الدلالية، يجعل من المشتغل عليه أن يتحرك في فلكه الإبداعي دون عناء؛ حيث يتمكّن من رصد مجمل تحديداتها لمفهومية وتجلياته ووظائفه المختلفة.

وتحدّد دراستنا لمصطلح المكان، من خلال كونه تقنية أساسية في بناء الرواية، وأي نص سردي يحيط به زمان ما، ويقع في مكان ، إذ من غير الممكن أن نتصوّر خطاباً سرديًّا دون فضاء مكاني « فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث»[1]، هذا المكان الذي هو مسرح الأحداث ويكون إما حقيقياً أو متخيّلاً.

فإن مكانة المكان « بمثل مكانة الشخصيات والأحداث والزمان، بل لولاه لما تحركت الشخصية الواحدة في لحظة زمانية معينة لإنجاز فعل محدّد، لكنه وللأسف استتبت الدراسات الحديثة والمعاصرة على تلك المقولات القصصية دون أن يعنى هذا المكان بالعناية أو الدراسة الدقيقة عند النقاد العرب منهم أو الأجانب، فلم تسجل آثارهم إلاّفي بعض الكتابات التي تعد على أصابع الأيدي.»[2]، إذ أن المكان يعد من العناصر الأساسية في البنية السردية ،إلّا أنه لم يُحظ بدراسات كافية ومستقلة؛فقد «كان من أقل القضايا إثارة للبحث والدراسة ، ذلك

---

[1] شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية الجديدة، دراسات في آليات السرد وقراءات نصية، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص 80.

[2] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي ، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، د،ط، 1995، ص 110.

أن جلّ الاهتمام عند المنظرين والباحثين كان قائما على تحليل الأحداث ومكوّناتها ودراسة الشخصيات ووظائفها، والبحث في الرؤى والأزمنة التي قد تتمفصل إلى زمن القصة وزمن الخطاب»[1].

يشير مصطلح «المكان " space " بالإنجليزية: و Espace بالفرنسية في الخطاب الروائي إلى مفهوم إجرائي، يتشكل من خلال البينة الوصفية المسرودة، والتي تنقله إلينا لغة التخييل، ليعبر عن أبعاد مصنوعة بواسطة الألفاظ، تخدم هذه الأبعاد حركة السرد في كليتها، وفي تتابعها وتواليها ولا تنفصل في الوقت ذاته عن المستويات الإشارية والرمزية التي يسعى المحكي إلى تجذيرها باللغة »[2]، فالمكان عبارة عن مكون سردي يوجد من خلال اللغة، فهذه الأخيرة « تؤدي دورًا جوهريًّا وحاسمًا في تأسيس هوية الخطاب وكينونته ؛ إنها الوسيلة الناجعة والفاعلة التي ينشئ بها الكاتب عالمه السِّحري وبها يعبر عن أحاسيسه ومشاعره الفكرية والجمالية ومواقفه من حقيقة الواقع والوجود »[3] أي ؛أن المكان يظهر من خلال الألفاظ التي يستخدمها الكاتب كوسيلة يقدم من خلالها أفكار معينة ويسعى إلى تجسيدها، وتعامل الروائي مع المكان لا يتم بالنظر إليه كأشكال وحجوم ومناظر وأشياء وألوان مختلفة وإنما باعتباره رموزًا لغوية حاملة لكثيرٍ من الدلالات الجمالية والوظائف الفنية.

وتطورت الرؤية للمكان نظرًا للأهمية الكبيرة التي يحظى بها هذا المصطلح ، فإنه أثارا اهتمام عديد من النقاد والباحثين، وقد اختلفوا في تسمية المكان، حيث نجد مفاهيم أخرى عندهم " كالفضاء"، هذا المصطلح الذي نال حظه شأنه شأن مصطلح المكان «فالفضاء مرادف للمكان وهو الذي تقع فيه مختلف المواقف

---

(1) نادية بوشفرة، معالم سيميائية، في مضمون الخطاب السردي ، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، دط، 2011، ص 109.

(2) محمد مصطفى علي حسانين، استعادة المكان، دراسة في آليات السرد والتأويل، رواية السفينة لجبرا إبراهيم نموذجا، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، د ط، 2004، ص 11.

(3) لحسن كرومي، الرواية بين صفتي المتوسط، ضمن منشورات المجلس الأعلى للغة العربية منشورات المجلس، الجزائر، دط، 2001، ص 41.

والأحداث المعروضة، والتي تتطلّبها العملية السَّردية»[1]؛ أي أن المكان أو الفضاء هو الإطار التي تحدث فيه مختلف الأحداث التي تتماشى مع الخطاب السردي .

وذهب اتجاه آخر إلى ترجمة المصطلح بمفردة أخرى، إذ يذهب " عبد الملك مرتاض " إلى ترجمة المصطلح " بالحيِّز " وهو مصطلح لم يتم تداوله كثيرًا في مجال الدراسات السَّردية مقارنة بالمصطلحين السابقين، إلّا أنه يميل إلى استخدامه ويعلّل هذا بقوله: « لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريًا في الخواء والفراغ، بينما لدينا ينصرف استعماله إلى النتوءِ والوزن الثِّقل والحجم والشكل، على حين أن المكان نريد أن نَقَفه في العمل الروائي على مفهوم الحيّز الجغرافي وحده»[2]؛ فمصطلح الفضاء من وجهة نظره رغم أنه يشيع في الدراسات النقدية العربية المعاصرة، ولكنه يراه قاصرًا بالقياس إلى مصطلح الحيّز؛ لأن الفضاء يحيل بالضرورة إلى الخواء والفراغ، بينما الحيّز يحيل إلى الحجم والشكل لما فيهما من وزن ومسافة، على حين أن مصطلح المكان يقصره على الموقع الجغرافي أضيق مساحة له في العمل الروائي.

ونذهب إلى أن «المكان أقرب المفردات تعبيرًا عن مفهوم المصطلح، إذ ينصرف الذّهن لمجرد الإشارة إلى المكان إلى الأبعاد الجغرافية ومجموع العناصر الداخلة فيها، دون لبس أو تعقيد؛ ولهذا السبب شاع مصطلح المكان ليعبر عن هذا المفهوم في كثير من الدراسات، ومن ثمة فإننا نجري مع هذا الشيوع الذي أشبه بعرف يؤخذ به»[3].

يمثل المكان« مكونًا محوريًّا في بنية السَّرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان ولا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين»[4]؛ أي انه عنصر ضروري يساهم في بناء الرواية وكشف أغوار وخصائص هذا الفن.

---

[1] جيرالد برنس، قاموس السرديات، ترجمة السيد امام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة،ط1، 2003، ص 182.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط،1998، ص 141.

[3] محمد مصطفى علي حسانين، استعادة المكان، ص 14.

[4] سليمان كاصد، عالم النص، دراسة بنيوية في الأساليب السردية، دار الكندي للنشر و التوزيع، الأردن، دط، 2003، ص 127.

ولم يَبق المكان في نظر الدارسين مجرد رقعة جغرافية، فلم يعد خلفية للأحداث فحسب وإنما هو « الجغرافية الخلاقة في العمل الفني، وإذا كانت الرؤية السابقة له محدودة باحتوائه على الأحداث الخارجية، فهو الآن جزء من الحدث وخاضع خضوعًا كليًّا له، فهو وسيلة لا غاية تشكيلية»[1]؛ أي أنه عنصر فعّال في تحريك أحداث الرواية باعتباره الملتقى المسيّر لمصير الشخصيات.

ونجد هذه الصورة أكثر وضوحًا لذا "باشلار" حينما يتحدث عن المكان وعلاقته بالإنسان: «إن المكان ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانًا لا مباليًا ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تمييز، إننا ننجذب لأنه يُكثّف الوجود في حدود تتسم بالحماية في مجال الصور، لا يكون العلاقات المتبادلة بين الخارج والألفة متوازية»[2]، إنه ليس حيّزًا جغرافيًّا، وإنما تجربة إنسانية يجسدها المبدع في كتاباته.

لذلك لا يظهر في النص كشيء معزول منفرد، أو بناء أجوف يحمل من فراغات وجدران وغرف وسقوف « وإنما يظهر كنشاط إنساني مرتبط بالسلوك البشري يحمل عواطف ومشاعر ومواقف وهموم وانفعالات اللذين يسكنوه، إنه يحمل أسرارهم الصغيرة والكبيرة، ما هو معلن وما هو مختف، إنه تاريخ الإنسان.»[3]، وهذا ما يؤكده الناقد" ياسين النصير" فليخص مفهوم المكان بأنه: « الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، لذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءاً من أخلاقيه وأفكار ووعي ساكنيه »[4]، فالمكان لا يتحقق حضوره إلاّ بتواجد الإنسان .

---

[1] ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد، د.ط، 1986، ص 18.

[2] غاشون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية لدار النشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1984، ص 31.

[3] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص 191 .

[4] ياسين النصير، الرواية والمكان، ص 16.

إذ أن المكان هو: «إنسان يتأثر ويؤثر، وهو في ذلك يحاول أن يختلس دور البطولة أو المشاركة في أحداث الحياة اليومية للإنسان»[1]؛ أي أن المكان أكثر التصاقا بحياة البشر، ولا يمكن طرح مسألة المكان بمعزل عن الإنسان، فهناك علاقة اتصال وتأثير بين الطرفين.

والرواية هي القالب الأكثر استعابًا لمختلف الظواهر والحوادث الواقعية، التي تتيح للروائي ذكر مختلف الأمكنة التي تخدم موضوعه، وتبيان الدور الذي يلعبه المكان في توضيح أفكاره وإخراجها في حلّة جمالية راقية، فللمكان دور كبير في الرواية « إذ ينبِّهنا عرضها له وحضوره فيها إلى مقامه منها وأثره الفعال فيها ومساهمته الجليلة في بناء عالمها »[2].

من خلال ما سبق يتضح « أن المكان لا يكون عبثًا بل له ضوابط تكون متّصلة في أغلب الأحيان بالوصف، وهي لحظات تظهر في الرواية متقطعة بالتناوب بين السرد ومقاطع الحوار»[3]، والمكان متعدد في الرواية تبعًا لتعدد وتطور الأحداث؛إذ لا يمكن التحدث عن مكان واحد، وإن كان كذلك فإنّه يتنوّع بتنوع وجهات النظر، وهو « مكان منته وغير مستمر ولا متجانس، وهو يعيش على محدوديته، كما أنه فضاء مليء بالحواجز والثغرات »[4]؛ أي أن المكان في أي رواية منته ومحدود، وهذا راجع لإرادة الروائي ومرتبط بأحداث الرواية، فهو الفضاء الذي تسبح فيه تلك الأحداث.

ويكاد يتفق الباحثون في مجال النقد الأدبي، أن المكان الروائي هو مكان قائم بذاته ينهض على مقومات وخصائص جعلته بمثل« العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية ببعضها البعض، وهو الذي يسم الأشخاص والأحداث الروائية في العمق، والمكان يلد السرد قبل أن تلده الأحداث الروائية وبشكل أعمق وأكثر أثرًا»[5]؛

---

(1) إبراهيم أحمد ملحم، شعرية المكان، قراءة في شعر مانع سعيد العتيبة، عالم الكتب الحديث الأردن، ط1، 2011، ص 7.

(2) عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2003، ص 9.

(3) حميد لحمداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع الدار البيضاء، ط3، 2000، ص 62.

(4) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء الزمن ـــ الشخصية، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب، ط2، 2009، ص 36.

(5) ياسين النصير: إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ط1، 1986، ص5.

أي أنه جوهر العمل السردي الروائي ، فهو الرابط بين عناصر وأجزاء الرواية كونه يبني العمل السردي قبل أن تبنه الأحداث الروائية.

إنَّ المكانية تذهب إلى أبعاد مختلفة فهي تتصل بالعمل الفني ، يقول " غاستون باشلار" : « أن المكان هو المكان الأليف ، وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة ، إنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة وتشكل فيه خيالنا، فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة»[1]، من هنا نجد باشلار يعرف لنا المكان بأنه المكان الذي ولدنا فيه، وتربى فيه كل فرد مناً، أي أن البيت القديم هو بين الطفولة ومكان الألفة، فالبيت الأسري يشكل أساس التماسك والترابط بين الأشخاص، فهو بمثابة الأمن والأمان والاستقرار، أي أن البيت الأسري يشكل للفرد أساس الحماية.

والمكان لا يعني « الدلالة الجغرافية المحددة المرتبطة بمساحة محددة في الأرض في منطقة،ما وإنما أريد به دلالته الواسعة التي تتسع لتشمل البيئة بأرضها وناسها وأحداثها وهمومها »[2]، فهذا المصطلح خرج عن دلالته الأولية المرتبطة بالحدود الجغرافية إلى دلالة أكثر اتّساعاً وشمولًا، لتشمل تلك البيئة في علاقتها مع الشخصيات والأحداث.

ويعد المكان دعامة من دعائم البناء الروائي، إذ يساعد على الإدراك العقلي للأشياء والبنية التي تنظم مع الأحداث والشخصيات في وحدة فنية متكاملة.

إن توظيف المكان في الإبداع الروائي من الوسائل الجمالية والفنية، لما يحمله من سمات إبداعية وتجارب اجتماعية وعواطف إنسانية، تجعل العمل متكاملاً وبهذا يصبح مكوّناً روائيًّا جوهريًّا، وعنصرًا أساسيًّا وفعّالاً في بناء معالم الرواية، لا يمكن الاستغناء عنه.

المطلب الثاني: الفرق بين المكان والفضاء:

---

[1] غاستون باشلار، جماليات المكان، ص06.

[2] صالح ولعة، المكان ودلالته، في رواية مدى الملح لعبد الرحمن منيف، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص 53- 54.

لم تكشف الأبحاث في ما مضى عن دراسة تميِّز بشكل دقيق وصريح بين الفضاء والمكان، ولكن يبدو أن هذا التمييز ضروري، فإذا نظرنا إلى الطريقة في تحديد ووصف الأمكنة في الروايات نجدها متقطعة ولعلَّ الباحثين ومن خلال جملة التعاريف التي قدموها سواء استعملوا مصطلح الفضاء أو المكان، حاولوا الوقوف بغية التمييز أو التفريق ولو نسبيًّا بين هذين المصطلحين.

إذ نجد الباحث " حميد لحمداني" يرى أنه من الضروري التمييز بين الفضاء والمكان وبين الحدود السردية التي توضح المسار الحكائي، إذا مجموع الأمكنة هو ما أطلق عليه اسم " فضاء الرواية " فهو أشمل وأوسع من مفهوم المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكوّن للفضاء، يقول: «إن مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقياً أن نطلق عليه اسم فضاء الرواية »[1]، لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان.

أما الباحث "حسن بحراوي" فقد اهتم بالشكل الروائي إذ خصص في كتابه " بنية الشكل الروائي " حديثه عن المكان في الرواية المغربية، وقد أضاف على عنصر الأمكنة الجغرافية مصطلح" الفضاء " مشيرًا في مقدمته في هذا الكتاب إلى مدى الأهمية التي يعطيها المكان لبناء الرواية باعتباره أحد مكونات السرد؛ إلى جانب ذلك فهو يؤثر على الشخصيات ووظائفها المتعددة « إلا أن الدراسات الحديثة البنيوية أقرت اتجاهات متباينة تعطي الشخصية أهمية فائقة في تشكيل المكان المحيط بها»[2]، وعلى هذا يبقى الفضاء ذلك الأثر الأدبي الذي ينعكس بشكل دائم على الرواية وبطريقة مباشرة، وعلى الرغم من أن الفضاء أشمل وأوسع من المكان، إلّا أن المكان هو مكون للفضاء، كما أن الفضاء الذي يجمع الرواية بما فيها الأحداث التي تنقل السرد، لأن هذه الأحداث تفرض دائمًا استمرارية وتواصل المكان.

شهد مصطلح المكان (lieu) تشابكات وتداخلات مع مصطلحي الحيّز والفضاء (espace)، إلاّ أن هذا الأخير أكثر المصطلحات يمكن التعامل معه وضبطه للتمييز بينه وبين المكان نظرًا للتشابه والاختلاف

---

[1] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 63.

[2] المرجع نفسه، ص 63- 64.

بينهما في الوقت نفسه ، حيث إن « الفضاء الروائي والمكان الروائي مصطلحان بينهما صلة وثيقة وإن كان مفهومهما مختلفان، فإننا نقصد بالمكان، المكان الروائي (l'espace romanesque) أمكنة الرواية جميعها، بيد أن دلالة مفهوم الفضاء لا تقتصر على مجموع الأمكنة في الرواية، بل تتسع لتشمل الإيقاع المنظم للحوادث التي تقع في هذه الأمكنة وتوجهات نظر الشخصيات فيها»[1]، وفي ظل هذا المنحى يكون الفضاء أوسع وأشمل من المكان لأنه يجمع بين الأمكنة والأحداث وكذلك الشخصيات والمساحة التي تدور فيها داخل الرواية.

ولعلَّ التمييز بين المكان والفضاء الذي أثاره " لحمداني " يستند إلى طبيعة المكونات في العمل الأدبي؛ إذ يشير إلى تلك العناصر الداخلة والمكونة للعمل الروائي، وكل هذه العناصر تكوّن ما يسمى بالفضاء الروائي« لأن الرواية قابلة لأن تجعل كل الأمكنة مادّةً لبناء فضاءها الخاص»[2]، فالأمكنة هي بمثابة المادة الصلبة التي من خلالها تستطيع بناء الفضاء الخاص بها داخل العمل الروائي.

ويشير الباحث " حسن بحراوي" في موضع آخر من كتابه لدراسة المكان باعتباره عنصراً حكائيًّا، إذ يرى أن الفضاء هو مكون أساسي، وهو يتحدث عن أماكن الإقامة الاختيارية ؛ فإنه يشير إلى مدى أهمية فضاء البيت باعتباره مركز المعاني، كما يستعمل شعرية المكان وأثره في تشكيل الفضاء « إذ أنها تسلم بتأثير الوجود الإنساني على تشكيل الفضاء الروائي، وتلحّ خصوصًا على أهمية رؤية الإنسان للمكان الذي يؤهله»[3]؛ أما "سيزا قاسم" في كتابها " بناء الرواية " اعتبرت سرّ التّمييز بين الفضاء والمكان يكمن في تعدد المصطلح داخل اللغات و «قد اكتفى النقاد الكلاسيكيون في اللغات الثلاث باستخدام كلمة المكان place / lieu للدلالة على كل أنواع المكان حيث لم يكن الفراغ (الفضاء) بمفهومه الحديث قد نشأ بعد، وبينما ضاق الفرنسيون، كلمة lieu بدأوا باستخدام كلمة Espace (فراغ)، لم يرض نقاد الإنجليزية عن اتساع

(1) سمير روحي الفيصل، الرواية العربية، البناء والرؤيا، ص 14.

(2) حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 72.

(3) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 45.

(lieu/place) (مكان / فراغ) وأضافوا استخدام كلمة (location) (بقعة) للتعبير عن المكان المحدد لوقوع الحدث.»[1]، فتعدد المصطلح في اللغات الثلاث (الفرنسية ، الانجليزية، والعربية) يدل على ذلك التمييز بين الفضاء والمكان وإحالته إلى مصطلحات أخرى، تحمل بالتقريب دلالة المصطلحين نفسها.

لذلك تعود النافذة إلى وصف المكان في الرواية وتضفي عليه مفهوم الفضاء، إذ تعدّه عالمًا خيالياً تساهم في صنعه الكلمات، فالروائي « عندما يبدأ عالمه الخاص الذي سوف يضع في إطاره الشخصيات يضع عالمًا مكوّنًا من الكلمات، وهذه الكلمات تشكل عالمًا خاصاً خياليًّا قد يشبه عالم الواقع، وقد يختلف عنه إذا شابهه، فهذا الشبه خاص يخضع لخصائص الكلمة التصويرية»[2]؛ أي أن الناقدة تتحدث عن المكان الروائي وتربطه بالفضاء الذي يحتوي على الكلمات التي تجعل منه عالمًا مميّزًا، قد يكون شبيهًا بعالم الواقع أو مختلفا عنه.

ومن خلال التمييز بين الفضاء والمكان، يمكننا القول، أن الفضاء أشمل وأوسع من المكان، فهو عالم واسع يشمل جميع الأمكنة التي تجري فيها الأحداث الروائية؛ أما المكان فهو المكون والمشكل للفضاء باعتباره أهم الدعائم الأساسية، فهو يفرض توقعاتنا زمنيا في سير وانتظام الأحداث، ومن خلال هذا نجد المكان أهم فضاء في الرواية .

المطلب الثالث: المكان وعلاقته بالإبداع الروائي.

أولا: دور المكان في النص الروائي.

المكان باعتباره عنصراً من عناصر الرواية ،له دور فعال في النص الروائي،إذ قد يتحول من مجرد خلفية تقع عليها أحداث الرواية إلى عنصر تشكيلي من عناصر العمل الروائي، فالمكان له دور مكمل لدور الزمان في تحديد دلالة الرواية، كما أن له أهمية كبرى في تأطير المادة الحكاية وتنظيم الأحداث ،إذ يرتبط بخطية الأحداث السردية، بحيث يمكن القول بأنه يشكل المسار الذي يسلكه اتجاه السرد، وهذا التلازم في العلاقة بين المكان

[1]- سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 101.

[2]-المرجع نفسه ، ص 104.

والحدث هو الذي يعطي للرواية تماسكها وانسجامها ويقرر الاتجاه الذي يأخذه السرد لتشييد خطابه، ومن ثمة يصبح التنظيم الدرامي للحدث هو إحدى المهام الرئيسية للمكان [1].

والمكان سواء كان مشهدًا وصفيًّا أم مجرد إطار للحدث، يدخل في صلات وثيقة مع باقي المكونات الحكاية في النص الروائي كما «يدخل في نسيج النص من خلال حركة السارد في المكان»[2]، فيغير إيقاع السرد بعبور السارد أمكنة مختلفة في الرواية مما يؤدي إلى تغيير الأمكنة داخل الفضاء الروائي، الذي ينتج عنه «نقطة تحول حاسمة في الحبكة وبالتالي في تركيب السرد والمنحى الدرامي الذي يتخذه »[3].

يمكن النظر إلى المكان الروائي على أنه بؤرة تجتمع فيها شبكة من العلاقات التي تجمع بين عناصر الرواية المختلفة «إذ يتخذ أشكالًا ويتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله؛ ويكون منظّمًا بنفس الدقة التي تنظم بها العناصر الأخرى في الرواية ، لذلك فهو يؤثر فيها ويقوى من نفوذها»[4]، ومن ثمة يصبح المكان عنصراً غير زائد، بل فعّالًا في ترسيم معالم العالم الروائي.

وغني عن البيان أن ثمة علاقة تأثير وتأثر بين المكان والشخصيات الروائية،إذ يعد المكان عنصرًا أساسيًّا في تشكيل بنية هذه الشخصيات، كما أنه لا يتشكل إلا من خلال اختراق هذه الشخصيات له وظهورها فيه بمميزاتها والأحداث التي تقوم بها فيه.

من هذا المنطلق نلحظ أن المكان «حقيقة معاشة ، ويؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه»[5]؛

إذ لا يمكن فصل المكان عن تأثير الإنسان القاطن به، ذلك أن علاقة التأثير والتأثر بينهما تتوطد من خلال الدور الذي يلعبه كل منهما اتجاه الأخر.

---

[1] ينظر حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 20،29،30.

[2] مصطفى الضبع استراتجية المكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، دط، 1998، ص71 .

[3] حسن بحرواي، بنية الشكل الروائي، ص32.

[4] مصطفى الضبع، استراتجية المكان، ص15 .

[5] يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، ترجمة سيزا قاسم، مجلة البلاغة المقارنة، القاهرة، الجامعة الأمريكية، العدد 6، ص83 .

ومع التسليم بوجود علاقة تأثير وتأثر بين المكان والشخصية يتبين لنا أن المكان يقوم بدور العاكس لأحاسيس الشخصية، كما يمكننا القول بأن«هناك أماكن مرفوضة وأماكن مرغوبة فيها، فكما أ ن البيئة تلفظ الإنسان أو تحتويه فإن الإنسان طبقا لحاجاته ينتعش في بعض الأماكن ويذبل في بعضها»[1]، بمعنى أن المكان يمثل رمزاً من رموز الانتماء بالنسبة للشخصية.

وقد حظي المكان في العمل الروائي بمساحة واسعة وأرضية صلبة جعلت نظرة القراء والنقاد تصب مجالات اهتمامها عليه،حيث أن «للمكان أهمية كبرى في العمل الأدبي والفني ،إذ يثير أكثر من سواه إحساساً بالمواظبة، وإحساسًا أخر بالزمن حتى ليغدو المكان (كيانا) لا يحدث شيء من دونه »[2]. فالدراسات الروائية تحتاج لعنصر المكان الذي يزيد من جمالياتها ويرتبط بأحداثها وزمانها، إذ لا يوجد عنصر داخل الرواية، إلاَّ ويرتبط بالمكان.

أصبح المكان حلقة وصل بين العناصر والجزئيات داخل العمل السردي « وقد أخذت التوصلات السردية الحديثة في عين الاعتبار التعامل مع المكان بآليات وتقنيات جديدة ،تقنيات انطوت على صياغة المظاهر والظواهر الجمالية التي تتزين بتكنيك فني معين مما شكلت قضية إعطاء الحيّز المكاني مظاهر عدّة»[3]، بمعني أن التعامل مع المكان أصبح من مهام الأعمال السردية ،وأضحى شغلها الشاغل من أجل صياغة عمل روائي متكامل.

وتظل مسألة تناول المكان ومساهمته في بناء الإبداع الروائي من العناوين التي سُطِّرت لدى الروائيين وأثارت إلهامهم وتفكيرهم كونه بؤرة تلاقي ؛إذ يعد «عنصراً مهمًّا من عناصر البناء الروائي والقصصي، فهو أكثر تلمّساً للواقع المحسوس وأكثر خضوعًا لتأثيرات الزمن عليه، فالعلاقة بين المكان وانشغالات السرد

---

[1] يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني ، ص 83 .

[2] محمد قرانيا، ظواهر التجديد في قصيدة الأطفال في سورية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، د.ط ، 2008، ص 209 .

[3] زهير الجبوري، مرايا السرد مقاربات تنظيرية وتطبيقية في السرد العراقي الحديث، بغداد ،ط2،2013، ص19.

علاقات مفتوحة لما هو واقعي وتجريدي وتجريبي ولما هو مجازي من حيث الاستخدام الفني»[1]، فكل عمل روائي عموده المكان باعتباره الأكثر قربًا من الواقع والمرتبط بالزمن والشخوص، كما أنه ينفتح على كل الأشياء الواقعية وحتى التجريبية وغيرها، أي أن كل ما هو موجود في الحياة أو الواقع هو مرهون بالمكان.

ويعتبر المكان بمثابة الجسم الذي تثبَّت فيه كل الأعضاء لضمان الاستمرارية في الحياة، و «مهما اشتغل على أرضية المكان وأسقط على أجزائه ومساحته كثيراً من الانغرازات الإيديولوجية والسيميولوجية، فإنه يعد بنية لتشكلات متجانسة تشكل وحدة الوجود للإدراك البشري، ومن ثم يؤخذ بوصفه عنصراً مستهلكًا مع مكملاته الأخرى(الزمن...الحدث...الشخصية) و لم يدخل أي علم آخر لزحزحته ...سوى علم الأدب»[2] من هذا المنطلق يمكننا القول؛ إن المكان هو من يقوم بتحصين بناء الرواية وحمايتها من الانهيار، فهو وحدة لتواجد الإدراك والإحساس الإنساني، كما أنه بقي محافظاً على صدارته داخل العمل الروائي و لم يستطع منازعته وزحزحته أي علم ماعدا علم الأدب.

وقد حظي المكان في الرواية باهتمام كثير من الدارسين، لأن المكان في النص الروائي يتجاوز كونه مجرد شيء صامت أو خلفية تقع عليها أحداث الرواية، فهو عنصر غالب ومحور أساسيٌّ من المحاور التي تدور حولها عناصر الرواية لذا يرى البعض أن «العمل الأدبي حين يفتقد المكانية، فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته»[3]. وفي ظل هذا السياق فإن قيمه العمل الأدبي والروائي تبرز من خلال اتصالها وارتباطها بعنصر المكان.

ومن الواضح أن للمكان تأثيره خارج النص الروائي،إذ «يعبر عن مقاصد المؤلف»[4]؛ بمعنى

---

[1] زهير الجبوري، مرايا السرد مقاربات تنظيرية وتطبيقية في السرد العراقي الحديث، ص20 .

[2] محمد قرانيا، ظواهر التجديد في قصيدة الأطفال في سورية، ص21.

[3] غاستون باشلار، جماليات المكان، ص 5-6 .

[4] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 32 .

أن المكان لا يؤثر بما يدور داخل الرواية فحسب، بل يمتد إلى ما هو خارجها للتعبير عن أراء المؤلف ومقاصده، ونشير إلى أن دراسة المكان «ارتبطت بالتحليل الروائي باعتبار أن المكان المجال الذي تجري فيه أحداث الرواية»[1].

وتشكل ثقافة المكان «فضاء بنية نصية معرفية في العمل الروائي، تنهض ببنيات النص التي تشكلها عناصر الرواية من أفكار وشخصيات وأحداث وخيال ، لذا فالمكان هو دالة حركية ثقافية لها قوانينها المعرفية يفصح عن وجوده وفعله من خلال إمكانية قدرته على التفاعل الحيِّ بين هذه العناصر ، ويشارك في تكوينها وبلورتها بما يتناسب ومساحة الحوار وأشكاله ، والصراع الذي يتشكل في الرواية، ولعل قدرة الروائي المبدع في عملية انحراف المكان عن وجوده الواقعي إلى متخيل ، يعطى الرواية رؤيوية واسعة لاحتمالات كثيرة ومتعددة يخلقها الكاتب من خلال السرد»[2]، تتردَّد كثيرًا بأن ثقافة المكان تشكل بنية نصيّة حيّة في النص الروائي ، لها قدرتها على التفاعل والانسجام مع الأحداث والشخصيات، كما تمكن الروائي من النهوض ببنيات الحوار.

المكان يبدو أكثر حركيّة وحيويّة في الإبداع الروائي فهو فاعل في الذات الروائية وفي إبداعها، إذ يُعَدُّ خلاقاً في الفعل الروائي، محددًا وموجّهًا للأحداث بل خالقًا لها وعاملًا فيها، وليس مجرد عنصر خارجي إضافي، انه عقل فعاّل في الخلق الروائي.

فكل رواية تحتوي على مسرح تقع فيه الأحداث وتتصارع في ميدانه الواسع الأفكار والشخصيات، اصطُلح عليه النقاد بالمكان، ويؤلف المكان إطاراً محتويًّا ومتفاعلاً مع بقية العناصر

---

[1] سعيد محمد الفيومي، فلسفة المكان في المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي، مجلة الجامعة الإسلامية، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، مج5، ع2، 2007، ص242 .

[2] عبد الله بدر الرحاوي، ثقافة المكان وأثرها في الشخصية الروائية، رواية ليلة الملاك أنموذجا، مجلة ابحاث كلية التربية الأساسية، معهد بينوي، العراق، المجلد11، العدد2، 2011، ص263.

البنائية الأخرى، ويقوم المكان بأداء وظائف عدّة في النصوص السّردية.

ثانيا: كيفية قراءة المكان في النص الروائي.

المكان لا يعيش بمعزل عن باقي عناصر الرواية، وإنما يدخل في علاقة مع المكونات السّردية من زمان وشخصيات وأحداث، وعدم قراءته ضمن هذه العلاقات والصّلات، يجعل من الصعب فهمه داخل العالم الروائي، في حين أن قراءتنا له مرتبطة بالعناصر السالفة الذكر، وتظهر مدى وعينا به وقدرتنا على فهمه، ومن ثمة قدرتنا على تلقي النص الروائي وفهمه.

وحتى يتسنى لنا قراءة المكان قراءة واعية تؤدي إلى فهمه على نحو صحيح ، اقترح الباحثون ثلاثة محاور في هذا الصدد :يتمثل أولها في الرؤية (أو زاوية النظر أو المنظور) التي يتّخذها الراوي أو الشخصيات عند مباشرتهم للمكان لأنّ الرؤية هي التي تقود «نحو معرفة المكان وتملكه من حيث هو صورة تنعكس في ذهن الراوي، ويدركها وعيه قبل أن يعرضها علينا في خطابه»[1]، في حين يمثل المحور الثاني في فهمنا للُّغة الموظفة لتشخيص أو وصف المكان«فكل لغة لها صفات خاصة في تحديد المكان أو رسم طوبوغرافيته وبها يحقق المكان دلالته الخاصة وتماسكه»[2]، أما المحور الثالث فيتمثل في المتلقي أو القارئ للمكان في النص الروائي «فهو يتلقى جماليته المنبثقة عبر النص السّردي والتي لها أثرها في التلقي ، كما أنه يساهم في إنتاج هذه العمليات»[3]، فالقارئ له دور في إبراز جماليات النص الذي يتلقاه وينفعل معه ويتأثر بمكوناته.

ومن ثمة فالمكان ساهم في بناء النسيج العام للرواية، من خلال تفاعله مع جميع العناصر، كما ساعد في إثراء الخطاب الروائي مما جعل دوره فعال داخل البنية السردية.

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص101 .

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 32 .

[3] ينظر مصطفى الضبع، استراتيجية المكان، ص395 .

المطلب الرابع: أهمية المكان في بناء الرواية.

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها الفنية أو لأنه المكان الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب؛ بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية بما فيها حوادث وشخصيات وما بينها من علاقات ، ويمنحها المناخ الذي من خلاله تستطيع أن تعبر عن وجهة نظرها، ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية والحامل لرؤية البطل ومنظور المؤلف.

إن المكان« ليس عنصرًا زائدًا في الرواية فهو يتخذ أشكالًا ويتضمن معانٍ عديدة بل أنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله»[1]، فهو محور أساسي من المحاور التي تدور حولها عناصر الرواية باعتبارها مجالا لاهتمام الدارسين الروائيين.

و« النص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خياليًا له مكوناته الخاصة وأبعاده المتميزة»[2]؛ فالمكان في الرواية قائم في خيال المتلقي وليس في العالم الخارجي، وهو مكان تستثيره اللغة من خلال قدرتها على الإيحاء ، ولذلك لابد من التمييز بين المكان والعالم الخارجي والمكان في العالم الروائي « وإذا كانت نقطة انطلاق الروائي في التقاليد الواقعية هي الواقع، فإن نقطة الوصول ليست هي العودة إلى عالم الواقع؛ إنها خلق عالم مستقل له خصائصه التي تميزه عن غيره»[3]، والروائي حين يستعين بوصف المكان أو تسميته فهو لا يسعى إلى تصوير المكان الخارجي، وإنما يسعى إلى تصوير المكان الروائي، وأي مطابقة بينهما هي مطابقة غير صحيحة.

ومنه فإن المكان هو الكيان الاجتماعي الذي سجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه، مخاوفه وآماله وأسراره « فيبدو المكان كما لو كان خزّانًا حقيقيًّا للأفكار والمشاعر والحدوس، حيث تنشأ بين الإنسان

---

[1] حسن بحراوي ،بنية الشكل الروائي، ص 33.

[2] سيزا قاسم، بناء الرواية ، دار التنوير، بيروت، د، ط ، 1985، ص 24.

[3] المرجع نفسه، ص785.

والمكان علاقة متبادلة يؤثر فيها كل طرف على الآخر»[1]؛ أي هناك علاقة وطيدة تربط المكان بالشخصية، حيث تتوطد بين الإنسان والمكان علاقة تبادل عن طريق الأفكار و إدراك الأشياء بتأثير كلا الطرفين في بعضهما البعض.

إنَّ « الوضع المكاني في الرواية يمكنه أن يصبح محدّداً أساسيًّا للمادة الحكائية ولتلاحق الأحداث والحوافز؛ أي أنه سيتحول في النهاية إلى مكون روائي جوهري ويحدث قطيعة مع مفهومه كديكور»[2]، وبالتالي يصبح المكان في الرواية عنصراً أساسيًّا وفعّالاً في بناءها وتطورها، وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معها.

إذن« يمكننا النظر إلى المكان بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضمن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي، فالمكان يكون منظّماً بنفس الدقّة التي نظمت فيها العناصر الأخرى في الرواية لذلك فهو يؤثر بعضها ويقوي من نفوذها، كما يعبر عن مقاصد المؤلف»[3]، فهو الحيّز الذي يحتوي كل العناصر الروائية، وما بينها من علاقات وارتباطات تؤثر كلاهما على الآخر.

والفضاء الروائي هو أشمل وأوسع من المكان لأنه يضم أمكنة الرواية بأكملها وعلاقتها بالشخصيات والأزمنة«وهو ينشأ من خلال وجهات نظر متعددة، لأنه يعاش على عدّة مستويات من طرف الراوي بوصفه كائنًا مشخّصاً وتخيّليًّا، أساسيًّا ومن خلال اللّغة، ثم من طرف الشّخصيات الأخرى التي

يحتويها المكان، وفي المقام الأخير من طرف القارئ الذي يدرج بدوره وجهة نظر غاية في الدقة»[4]،

وهكذا يتجاوز المكان وظيفته الأوليّة بوصفه مكانًا لوقوع الأحداث إلى فضاء يتسع لبنية الرواية ويؤثر فيها من خلال زاوية أساسية هي زاوية الإنسان الذي ينظر إليه .

---

(1) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 31.

(2) المرجع نفسه، ص 33.

(3) المرجع نفسه، ص 32.

(4) المرجع نفسه، ص 32.

إنَّ تشخيص المكان في الرواية «هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئًا محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيتها، أنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور، والخشبة في المسرح، وطبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصوّر وقوعه إلّا ضمن إطار مكاني معين، لذلك فإنه دائم الحاجة إلى التأطير المكاني غير أن درجة هذا التأطير وقيمته تختلفان من رواية إلى أخرى، وغالبًا ما يأتي وصف الأمكنة في الروايات الواقعية مهيمنًا بحيث نراه يتصدّر الحكي في معظم الأحيان، ولعلّ هذا ما جعل " هنري متران" يعتبر المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل القصّة المتخيّلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة، وفي الإطار نفسه على أهمية المكان يشير " جيرار جنيت " إلى الانطباع الذي كونه " مارسيل بروست " عن الأدب الروائي ، إذ يتمكن القارئ دائما من ارتياد أماكن مجهولة متوهّمًا بأنه قادر على أن يسكنها أو يستقر فيها إذا شاء»[1]، إن الاهتمام الكبير بالمكان يعود لحضوره الكثيف في كل مناحي حياتنا، فكل مناحي الحياة ومظاهرها توحي وتشهد على حضور المكان وتعدد مظاهره، فهو جزأ لا يتجزأ من الوجود، فالإنسان مرتبط بالمكان منذ لحظة ميلاده في الحياة، وهو في رحلة دائمة ومستمرة فيه وحوله.

وتمكن أهمية المكان الكبرى في « تأسيس الحدث والشخصية، لذلك نجد أنّ اختيار أمكنة المحكي لا يقوم بصفة اعتباطية أو جزافية أو بمحض مصادفة، إنّما هو تحديد دقيق ...إنه مكوّن رئيسي في الآلة السرديّة، ولا يمكن في أي حال من الأحوال إغفال أهميته ودره من خلال تقصي البحث في شعرية جديدة لجزئياته وعناصره بكثير من الدقّة والموضوعية»[2]؛ أي أن المكان يلعب دورًا مهمًّا بوصفه تقنية سرديّة، فهو من مقومات البنية السّردية، والمكان ليس زينةً ولا زخرفاً، فهو تقنيّة أساسيّة للمساعدة على فهم الشخصيات وتفسيرها إذ يرتبط المكان بمختلف مكونات الرواية، ويتكاثف معها ويتشابك لإرساء دعائم العالم الروائي.

---

[1] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 65.

[2] نادية بوشفرة، معالم سيميائية، في مضمون الخطاب السردي، ص 121.

أصبح المكان مكونًا أساسيًا في البنية السرديّة يتأثر بعناصرها ويؤثر فيها، وقد ساعده هذا الدور في احتلال مكانة هامة بين عناصر العالم الروائي «وهكذا يبدو أن لا عناصر سردية تخلو، أو تتجاوز البنية الفضائية»[1]، فكل عنصر من عناصر الرواية يتفاعل ويتشابك مع بقية المكونات لإقامة معالم البنية السرديّة، فلا يمكن لعنصر ما التشكّل بمعزل عن العناصر الأخرى.

ويُعَدّ المكان «بنية تعبّر عن الوجود الإنساني فاهتمام الإنسان به نابع تحت حاجته إلى إدراك العلاقات الحيويّة في بيئته وإلى أن يضفي معنى ونظامًا على عالم من الواقع والنشاطات»[2]؛ أي أن المكان هو الحيّز الذي يعيش فيه الإنسان ويمارس فيه نشاطاته وسلطته، وليس مكان الرواية «مجرد مكان أملس لا أثر له في تشكيل الحدث وفي التأثير في نفسية متلقيه، بل إن نوعية المكان يمكن أن تثير في القارئ الإحساس الذي يناسبها»[3]،فالروائي من خلال اختياره وتقديمه لمكان الحدث، يمكن أن يثير أحاسيس مختلفة تأثر في نفسية المتلقي.

إن المكان الذي يعيش فيه الإنسان ويمارس فيه نشاطاته وإبداعاته ليس موضعًا مستقرًّا له فحسب،

إنّما هو أيضًا مكان ثقافي يحوّل معطيات الواقع المحسوس بتوظيفها لسدّ حاجاته اليومية، ولإعطائها دلالاتها من خلال إدخالها في نظام اللغة.

يشكّل المكان في الخطاب الروائي المادة الجوهرية للخطاب، وأي إقصاء له إنما هو إلغاء لهويّة من هويّات هذا الخطاب، وحضور المكان ليس بوصفه الإطار التي تدور فيه الأحداث والوقائع فحسب، بل كوعي عميق بالكتابة جماليّا وتكوينياً.

---

(1) نادية بوشفرة، معالم سيميائية، ص 114.

(2) فاطمة عيسى أبو رغيف، قراءات نقدية، في نصوص روائية، دار الينابيع، سوريا، ط1، 2010، ص 24.

(3) الطيب بوعزة، في ماهية الرواية، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، ط1، 2013، ص 45.

المبحث الثاني: أنواع المكان وعلاقاته بالأحداث والشخصيات.

المطلب الأول: أنواع المكان.

يمكن تقسيم الفضاء المكاني إلى خمسة أنواع:

1- الفضاء الروائي: L'espace Romanesque.

هو فضاء لفظي يختلف عن الأماكن المدركة بالسمع أو البصر، وتشكله من الكلمات يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات المكانية التي تستطيع اللغة التعبير عنها، ولما كانت الألفاظ قاصرة عن تشييد فضائها الخاص بسبب طابعها المحدود فإن ذلك يدعو الراوي إلى تقوية سرده بوضع طائفة من الإشارات وعلامات الوقف داخل النص المطبوع وهكذا فإن "الفضاء الروائي" يتكون من التقاء فضاء الألفاظ بفضاء الرموز الطباعية، وهو المظهر التخيّلي أو الحكائي ويرتبط بزمان القصّة و بالحدث الروائي، وبالشخصيات التخيّلية.

فالمكان لا يتشكّل إلاّ باختراق الأبطال له، وليس هناك أي مكان محدد مسبقاً، وإنما تتشكّل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال، وهذا الارتباط بين الفضاء الروائي والحدث هو الذي يعطي الرواية تماسكها؛ يقول "فليب هامون" Ph Hamon: « إنّ البيئة الموضوعية تأثر على الشخصيّة وتحفزها على القيام بالأحداث»[1]، بمعنى أن الفضاء الروائي عبارة عن شبكة من العلاقات بين فضاء الألفاظ وفضاء الرموز الطباعية، والمكان يتشكّل من خلال أحداث الرواية، فهو مكوّن سردي لا يوجد إلاّ من خلال اللّغة.

2- الفضاء النصي: L'espace textuel.

ويسميه البعض الفضاء "الطباعي" ويقصد به: «الحيّزُ الذي تشغله الكتابة ذاتها – باعتبارها أحرفاً طباعية- على مساحة الورق، ويشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف، ووضع المطالع، وتنظيم الفصول، وتغيرات

[1] محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، د ط، 2005، ص 71-72.

الكتابة المطبعية وتشكيل العناوين وغيرها»[1]، فكل هذه المظاهر داخلة في تشكيل المظهر الخارجي للرواية، ولها دلالة جمالية وقيّمة، فوضع الاسم مثلًا في أعلى الصفحة يعطي انطباعا يختلف عنه إذا وضع تحت العنوان.

وهكذا فإن الفضاء النصي هو: «المكان الذي تتحرك فيه عين القارئ، إنه فضاء الكتابة الطباعي ولا علاقة له بالمكان الذي يتحرك فيه الأبطال»[2]؛ أي أنه متعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة الروائية باعتبارها أحرفًا طباعيّة على مساحة الورق فحسب.

3- الفضاء الدلالي: L'espace sémantique.

وقد تحدث عنه "جيرار جينيت" Gerard Genitte « فرأى أنّ لغة الأدب لا تقوم بوظيفتها بطريقة بسيطة، إذ ليس للتعبير الأدبي معنى واحد بل تتضاعف معانيه وتكثر، إذ يمكن أن تحمل أكثر من معنى واحد، فهناك المعنى الحقيقي؛ والمعنى المجازي... والفضاء الدلالي يتأسّس بين المدلول الحقيقي والمدلول المجازي، وهذا من شأنه إلغاء الوجود الوحيد للامتداد الخطي للخطاب»[3]، ويعتبر بأن هذا الخطاب ليس شيئا آخر سوى ما ندعوه عادة صورة ويقول في هذه النقطة بالتحديد: «إنّ الصورة، هي في الوقت نفسه الشّكل الذي يتخذه الفضاء، وهي الشيء الذي تَهَبُ اللّغة نَفسهَا له، بل إنّها رمزُ فضائية اللّغة الأدبيّة في علاقاتها مع المعنى»[4]؛ أي أن الفضاء الدلالي يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي وما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدلالة المجازيّة بشكل عام، وهو يأنس بالشعر أكثر من أنسه بالرواية.

4- الفضاء كمنظور أو كرؤية: L'espace comme une perspective ou une vision.

وقد تحدثت عنه "جوليا كريستيفا" Julia Kristeva «فرأت أنّ الفضاء مراقب بواسطة وجهة النظر الوحيدة للكاتب والتي تهيمن على مجموع الخطاب بحيث يكون المؤلف متجمّعا في نقطة واحدة وتشبه

---

[1] حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص 55.

[2] محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، ص73.

[3] الرجع نفسه، ص 73.

[4] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 61.

"كريستيفا" الرواية بالواجهة المسرحيّة، فالعالم الروائي بما فيه من أبطال وأشياء يبدو مشدوداً إلى محرِّكاتٍ خفيفةٍ يديرها الكاتب وفق خطى مرسومة، وهذا يشبه ما يسمى برؤية الراوي أو المنظور الروائي»[1]؛ فالفضاء كمنظور يشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح.

5- الفضاء كمعادل المكان:

ويسمى عادة الفضاء الجغرافي: L'espace Géographique فالروائي « يقدم دائما حدًا أدنى من الإشارات الجغرافيّة التي تشكل فقط نقطة انطلاق من أجل تحريك خيال القارئ، أو من أجل تحقيق استكشافات
منهجيّة للأماكن»[2]؛ وعليه فالفضاء الجغرافي يتولّد عن طريق الحكي وهو المساحة التي يتحرك فيها الأبطال.

والفضاء هنا معادل لمفهوم المكان في الرواية «ولا يقصد به بالطّبع المكان الذي تشغله الأحرف الطباعيّة التي كتبت بها الرواية، ولكن ذلك المكان الذي تصوّره قصّتها المتخيّلة»[3]؛ فالفضاء بهذا المفهوم يعني المساحة المكانية.

* كما يمكن تقسيم المكان إلى مكان مفتوح ومكان مغلق:

1- الأماكن المغلقة:

«يكتسب المكان وجودًا من خلال أبعاده الهندسيّة والوظيفيّة التي يقوم بها فإذا كانت الفضاءات المفتوحة امتدادات للفضاء الكوني مع تغيير تفرضه حاجة الإنسان المرتبطة بعنصره، فإن الحاجة ذاتها تربط الإنسان بفضاءات أخرى يسكن بعضها، ويستخدم بعضها في مآرب متنوّعة فالبيت مسكنه يحميه من الطبيعة

---

[1] محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، ص 77.

[2] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 53.

[3] المرجع نفسه، ص 54.

والمستشفى مكان العلاج والسّجن قيد يسلبه حريته والمسجد فضاء لأداء العبادة.»[1]؛ أي هي أمكنة توحي وترمز إلى العزلة والكبت والخصوصيّة والعجز، حين تحتضن عددا محدوداً من البشر، و«هذه الفضاءات ينتقل بينها الإنسان ويشكلها حسب أفكاره والشّكل الهندسي الذي يروقه ويناسب تطور عنصره وينهض الفضاء المغلق كنقيض للفضاء المفتوح»[2]، أي أن المكان المغلق هو المكان المحدد هندسيًا وجغرافيًا كمكان للعيش، وهو المأوى الذي يلوذ إليه الإنسان، ويتواجد فيه لفترات طويلة إما بإرادته أو بإرادة الآخرين، وقد يدل على الألفة والأمان، أو قد يكون مصدر للخوف والذعر.

2- الأماكن المفتوحة:

تكتسي الأماكن المفتوحة أهمية بالغة في الرواية، إذ أنها تساعد على«الإمساك بما هو جوهري فيها، أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها»[3]، من خلال العلاقات والتفاعلات التي تحدثها الشخصيات أثناء تواجدها في هذه الأماكن العامة، «وتتخذ الروايات في مجموعها أماكن منفتحة على الطبيعة، تؤطر بها للأحداث مكانيًا، وتخضع هذه الأماكن لاختلاف يفرض الزمن المتحكم في شكلها الهندسي وفي طبيعتها وفي أنواعها، إذ تظهر فضاءات وتختفي أخرى»[4]، فالأماكن المفتوحة هي الأماكن التي تلتقي فيها أعداد مختلفة من البشر حيث تزخر بالحركة والحياة وفي مثل هذه الأماكن يتحقق التواصل مع الآخرين، ويقضي على الشعور بالعزلة والوحدة، وتتصل هذه الأماكن المفتوحة بفضاءات معدودة وغير محدودة كالبحر والصحراء والشوارع، وهي بدورها توحي بالحرية والانطلاق.

المطلب الثاني: علاقة المكان بالأحداث والشخصيات.

يرتبط المكان بعديدٍ من العناصر الروائية، ويتشابك معها لإرساء دعائم العالم الروائي، وقد حظي المكان

---

[1] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص 204.

[2] المرجع نفسه، ص 204.

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 79.

[4] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص 244.

باهتمام الكتاب والنقّاد والقرّاء على حدٍ سواء.

إذ يعدّ «مكوّناً عضويًا، يتأثر بعناصر البنية السردية ويؤثر فيها، وقد ساعده هذا على احتلال مكانة قيّمة وواسعة بين مكونات الرواية، ويعتبر المكان أو الفضاء الروائي بوصفه عنصرًا شكليًّا فاعلاً في الرواية لما يتوفر عليه من أهمية كبرى في تأطير المادة الحكائيّة وتنظيم الأحداث والحوافز، وكذلك بفضل بنيته الخاصة والعلائق التي يُقيمها مع الشخصيات والأزمنة والرؤيات»[1]؛ فالمكان يتفاعل مع عناصر السرد كونه يساهم في ترتيب وتناسق الأحداث والأزمنة وترابطها مع الشخصيات.

ومما يتراءى لنا أنّ «اختراق الشخصيّات المكان، وتحركاتها في جزئياته، وتشكيلها الفضاء الروائي من العلاقات المكانيّة بغية توفير الإيقاع المنظم لها، وكان نجاحهم في ذلك دليلًا على أن الفضاء الروائي لا يتشكل إذا لم تخترق الشخصيّة المكان حاملة وجهة نظرها الخاصة في علاقاته»[2]، ومن الملاحظ أن دخول الشخصيّة في المكان وتحركها ضمن عناصره وتفاعلها معه، وتشكيلها للفضاء الروائي أسّس لبناء الرواية.

فالمكان والشخصيّة والزمن خليّة لا تكتمل عناصرها إذا فصلنا إحدى هذه المكونات عن سابقتها، والمكان الروائي يدخل في علاقات متنوعة مع مكونات الرواية جميعًا، كما أنّ الزمن الروائي «لا يعيش منعزلاً عن باقي عناصر السرد، فالشخصيّة التي تتأثر بمكان ما، فإنها لا تتأثر به إلاّ من خلال فعل الزمن في ذلك المكان»[3]، أي أنّ الشخصيّة ترتبط بالمكان عن طريق تأثرها وانسجامها مع الحدث الزمني.

وبناءاً على هذا فإن «ظهور الشخصيّات ونمو الأحداث التي تساهم فيها هو ما يساعد على تشكيل البناء المكاني في النص، فالمكان لا يتشكل إلاّ باختراق الأبطال له، وليس هناك بالنتيجة أي مكان محدد مسبقًا وإنما تشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي تقوم بها الأبطال ومن المميزات التي تخصّهم»[4]؛ وعلى ضوء ما

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 29.

[2] سمير روحي الفيصل: الرواية العربية، البناء والرؤيا، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2003، ص 82.

[3] أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص 78.

[4] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 29.

ذكرنا فإن المكان في الرواية مرتبط بالشخصيّة والحدث اللّذان يزيدان من قيمته وتميّزه باعتبارهما من مكونات السّرد المهمة.

«وهكذا تتوالى الشخصيّات والأماكن، تغيب ويأتي غيرها لتغيب أيضًا ويأتي مكانها آخرون، وتظل الرواية كالنّهر تتفرع عنه فروع، وتصبّ فيه فروع من أنهر أخرى، بنية روائيّة لا تتمحور حول بطل شخصيّة واحدة، ولا حول مكان واحد... بل ينفتح مدى الرواية ومجالاتها إلى مساحات واسعة جدًّا في المكان والزمان والأحداث وتتكاثر الشخصيات»[1]؛ فالرواية تستقبل ما تريد من الشخصيّات والأماكن ولا تركز على شخصيّة في حد ذاتها بل توسع مجالها لعناصر سرديّة أخرى كالزمن والحدث والشخوص، إذ «تعد الشخصية مكونًا أساسيًا في السّرد، فالحكاية باعتبارها مجموعة أحداث تستدعي تحقيقها وجود شخصيّة واحدة على الأقل»[2]؛ بمعنى أن السّردية تكون مرتبطة بكل عناصرها وخاصة الشخصيّة.

وإن التداخل المتواجد بين الزمن والمكان؛ ناتج عن عدم الفصل بين كلا الطرفين، لأن الحديث عن أحدهما مقترن بوجود الآخر، أي أن «علاقة المكان بالزمان علاقة متداخلة ويستحيل أن نتناوله بمعزل عن تضمين الزمان، كما يستحيل تناول الزّمان في دراسة تنصب على عمل سردي دون أن لا ينشأ عن ذلك مفهوم المكان في أي مظهر من مظاهره»[3]؛ أي أنّ هناك علاقة تداخل وانسجام بين الزمان والمكان، فوجود مكان يستدعي بالضّرورة زمن يكمله. و«تشكيل الحدث لم يعد ينظر إليه بذلك المنظور التقليدي، بعيدًا عن البنية الزّمانية والمكانيّة وكذلك الشخصيّات... بحيث لم تعد النظرة التقليدية تفصل بين هذه العناصر كما كانت عليه، بل أضحى النص كلا متكاملاً، جماليته تكمن في بنيته التي تتفاعل فيها تلك العناصر»[4]؛ وبناءً

---

[1] عبد الرحمن منيف، المكان ودلالته، ص 191.

[2] عمر عاشور، البيئة السردية عند الطيب صالح، البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 153.

[3] عبد القادر بن سالم، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2001، ص 90.

[4] المرجع نفسه، ص 62.

على هذا فإن النظرة إلى الحدث الروائي اختلفت بين القديم والحديث، إذ أصبحت حاليًا نظرة التحام وشموليّة في تفاعلها مع العناصر الروائية الأخرى.

فلذا «إنّ العلاقة بين الشخصيّات والرواية والكاتب، علاقة معقدة وطريفة فالشخصيّة عندما ترى النور تتنفس المحيط الذي يعيش فيه حتى تبدأ بالتكون ضمن شروطها الخاصة، والأحداث ما تكاد ترسم على الورق حتى تمتلك إلى حدٍّ كبير استقلالها،ومن ثمة لابد أن تؤثر على الشخصيّات وتجعلها تنفعل وتتفاعل ضمن مناخها، ولابد للشخصيّات عندما تصطدم بهذه الأحداث أن تكون لها رد فعلها وبالتالي موقفها»[1]؛ وعلى ضوء ما ذكر لابد أن تتوافق الشخصيّات مع الأحداث، بحيث تؤثر على نوع الشخصيّة ونمطها حتى تخلق نوعًا من الحماسة في الرواية.

والرواية تحتاج في طياتها إلى « نقطة انطلاق في الزمن ونقطة اندماج في المكان، يُسند للأولى تنظيم حركة الأحداث في الزمن وللثانية تنظيم حركة الشخصيّات في المكان»[2]، أي أنّ للرواية بداية تتمثل في زمنها الذي يساعد على تسلسل أفكارها ويساعد على ترتيب الأحداث، كما توجد لها نقطة تندمج فيها كل عناصرها وهي المكان الذي ،بدوره يساهم في تفعيل نشاطات الشخصيّات.

ومن الملاحظ أن المكان «يسهم في صياغة الأحداث والشخصيّات، ويرتبط كذلك بالزمن السّردي، إذ نجد ترابط بينه وبين كافة مستويات البناء، وعناصرها المتعدّدة»[3]؛ فترتيب الأحداث والشخصيّات، وإعادة بناءها من مهمة المكان فهو يتلاءم مع كل المستويات البنائيّة في الرواية.

وفي ظل هذا التصوّر يكون بوسعنا أن نشير إلى أنّ «المكان الروائي ليس عنصرًا يدور في فراغ، بل عنصرًا في بنية الخطاب السّردي يؤثر فيها ويتأثر بها»[4]، وانطلاقًا من هذا التحديد نستنتج أن المكان مرتبط

---

[1] عبد الرحمان منيف، المكان ودلالته ، ص 187.

[2] عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح، ص 30.

[3] محمد مصطفى على حساسين، استعداد المكان، ص 14.

[4] المرجع نفسه، ص6-7.

بالعمل الروائي يؤثر فيه عن طريق علاقته بالأحداث والشخصيّات ويتأثر به من خلال بناءه وترتيبه للعناصر داخل بنيته في العمل السّردي.

وإذ سلمنا بأن المكان «يتشكل بما ينهض فيه من أحداث»[1]، إلاّ أنه «لا يخضع دوما خضوعًا مطلقًا للحدث، بل يمارس عليه أحيانًا نوعا من القدرية، إنه يمسك بشخصيّاته وأحداثه ولا يدع لهما إلا هامشًا محدودًا من حرية الحركة»[2]، بمعنى أن المكان هو الذي يتحكم في سير الأحداث والشخصيّات ولا يترك لهما الحرية المطلقة حتى لا تخرج عن النظام البنائي للرواية؛ و «هكذا يبدوا الفن الروائي منصرفًا إلى الموجود الخارجي، حريصا على تأديته بصدق وأمانة ... وإنما هو سند الرواية في تصميم شخصيّاتها والإحاطة بخفاياها ومحركاتها وتبرير سلوكها وتعليل مواقفها وتطلّعاتها، فهو لا يهم بقدر ما تحوّله الشخصيّات»[3]؛ والمتفحص لهذا النص يستنتج أن المكان والشخصيّة والزمن خلية لا تكتمل عناصرها إذا فصلنا إحداها عن الأخرى والمكان الروائي محكوم بما تحوّله الشخصيّات .

وعلى هذا فإن المكان يرتبط «بعلاقات الشّخوص فيما بينها ،لأن ما يشكل من تمايز بين الفضاءات، هو تمايز بين الفواعل والكل في اتصال وثيق بالزمان لأن ما يجري على الشّخوص من خلال علاقاتهم بالزمان، ينسحب على الفضاءات بحكم تلازم الواقع والحاصل بينهما»[4]؛ ومما يبدو لنا أن الزمن ما هو إلاّ بُعداً أساسياً لتطور حياة الشخوص داخل بيئتهم، فهو ليس غريبا عنه وإنما مرتبط به ارتباطا شديدا فهو الذي يحدد وجهة الإنسان المحددة ، فالزمن مرتبط بالتطور والتجدد والانتقال، أي أن المكان يرتبط بالعلاقة التي تجمع بين الشخصيّات في علاقتها بالزمان.

و«يمكن مقاربة العلاقة بين الزمان والمكان بما يمكن أن نسميه بالعالم العاري، والهوّة شبه الخفيّة، إن عالم

---

[1] عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح، ص 39.

[2] المرجع نفسه، ص 39..

[3] عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية، الصورة والدلالة، دار محمد على للنشر، تونس، ط1، 2003، ص 284

[4] نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 113.

المكان عالم عارٍ ظاهر للعيان يمكننا أن نراه ونلمسه ونتحقق من وجوده، بينما في حالة الزمن فإننا نحسّ بقوّته، ولكننا نستطيع أن نراه بشكل مباشر، وإنما من خلال ما يفعله بنا و بالناس والأشياء من حولنا، حقًّا إنه لقوة شبه خفيّة وشبه مرئيّة أيضًا»[1]؛ وعليه نقول: إن الزمان يكتسب قيمة كبيرة بين العناصر السّردية للعلاقة التي تجمعه بالمكان ومدى تفاعله مع الشخصيّات.

ومن الملاحظ بأن علاقة المكان بالزمان والشخصيّة ،علاقة تبادل وتأثير فالمكان «لا تتجلى صفاته الجمالية إلا من خلال الزمان والإنسان»[2]؛ و بناءًا على ما ورد في هذا القول نتبين بأن الشخصيّة والحدث من أهم العناصر السّردية التي تساهم في إبراز المكان وإعطائه قيمة جمالية.

ولنا على ضوء ما ذكر أن «ثمة علاقة حميمة بين الشخصيّة والمكان الذي تقيم فيه، فالمكان يعكس سلوك الفرد ومشاعره وأحاسيسه وهو الذي يحدد طبيعة الشّخوص وسماتها. ولا يقتصر هذا الأمر على وصف المكان بأبعاده الجغرافية، بل يمتد ليشمل مكوناته وأثاثه»[3]؛ أي أن الشّخصية تساهم في بناء المكان باعتباره عاكسًا لتصرفات الفرد وأحاسيسه، كما تسعى إلى إبراز مكوناته، فهي «تقع في صميم الوجود الروائي ذاته، إذ لا رواية بدون شخصيّة تقود الأحداث وتنظم الأفعال وتعطي القصة بعدها الحكائي، ثم إن الشخصيّة الروائية فوق ذلك تعتبر العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكليّة الأخرى بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية لنمو الخطاب الروائي»[4]؛ وعليه لا يمكن فصل أيّة رواية عن شخصيتها باعتبارها نقطة تقاطع وتلاقي كل العناصر الروائية الأخرى التي تساهم في بناء خطاب الرواية .

من الواضح أن الروائي في رسم معالم روايته، لا يمكنه أن «يفكر في الزمن وهو يكتب منعزلاً عن الحيّز، ولا في الحيّز منعزلاً عن الزمن ولا في بناء النسيج اللغوي منفصلاً عن الحدث الذي يضرب فيه، ولا في بناء

---

(1) أحمد حمد نعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ص 76-77.

(2) حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 54.

(3) نفله حسين أحمد الغري، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2011، ص 105.

(4) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 20.

الشخصيّة ورسم ملامحها... بمعزل عن الحدث الذي تضطلع بإنجازه»[1]، وبهذا يكون المكان والزمان والحدث وحدة متشابكة، أي لا مكان بدون زمان، ولا شخصيّة بإمكانها التحرك بمعزل عن حيّزها ومكانها، فكل من الزمن والمكان والشخصيّة هم عناصر مساهمة في تجسيد العمل الروائي؛ «فما يظهر من الأشياء والأمكنة لا يظهر سوى ملازمًا لظهور الشخصيّات والأحداث»[2]؛ بمعنى ظهور الأمكنة مرهون بظهور الشخصيّات وتزامن الأحداث.

وانطلاقا من هذا التحديد وما يتضمنه ندرك أن المكان عمومًا «ليرفض تصورات لا تربطه بالزمن والأحداث والشخصيّات، فكل طرح لمسألة المكان بمعزل عن الزمان؛ هو شيء لا يمكن تصوره ذهنيًا ولا روائيًا ، فالعلاقة بين الزمان والمكان أساسية لأنها تشخص جدلية الواقع في الحياة، وتشخيص جدلية الواقع الروائي في حد ذاته»[3]؛ فعلاقة الترابط بين الشخصيّة والمكان والزمان على درجة من التعالق، حيث لا يمكن تصور مكان دون بشر ولا بشر دون مكان، وأن «أي مكان باعتباره خشبة فارغة، يستدعي شخصيّة لتحتله»[4]؛ فهو هنا يصرح إلى الصلة الوثيقة بين المكان والشخصية ،فيبدو المكان خزانا للأحاسيس والأفكار التي تنشأ بين الإنسان والمحيط الذي ينتمي إليه.

ومن المتعارف عليه أن «الأحداث التي ترويها هذه الشخصية في بعض أطوارها في النص السردي فهي مركبة من عناصر مختلفة هي اللّغة و الحيّز والزمان، وهي التي تشكل النص السّردي الذي ترويه الشخصيّة بشكل غير مباشر»[5]؛ بمعنى أن الحدث هو الذي يسعى لبناء النص الذي ترويه الشخصيّة بالاحتكاك مع عناصر عديدة كاللّغة والمكان والحيّز، و «إذا كانت الأحداث تروى بحيث تكون ملائمة للشخصيّة نفسها، أو

---

(1) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية؛ بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، د.ط، 1978، ص 223.

(2) عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح، ص 153.

(3) عبد الرحمان منيف، المكان ودلالته، ص 52.

(4) محمد مصطفى علي حساسين، استعادة المكان، ص 27.

(5) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 275.

للبيئة فإنها يمكن أن تروى بحيث تكون ملائمة للثيمة»[1]؛ إذن فالحدث يروى عندما يكون مناسبًا للشخصيّة وللمكان الذي يحيط بها، كما يمكنها أن تروى إذا كانت ملائمة للفكرة التي تعكس مجموعة من الآراء الفرعية.

وفي ظل هذا السياق فإن «الرواية بما تتسم به من سعة، تسند دورًا حقيقيا لمقولتي الزمن والفضاء، مما يجعلهما حاضرتين لمختلف تمظهراتهما في كل موضع من الرواية، فالكاتب يحرص على إعطاء كل لحظة قوية وكل مشهد من مشاهد روايته إطارًا زمكانيا»[2]،بمعنى أن أي رواية يثبت وجودها وتتجلى قيمتها من خلال زمانها ومكانها.

«إنّ فعل الشخصيّة متميز دائما... لأنها تقدم من خلال فعلها إدراكها أو وعيها أو وجهة نظرها في السياق الذي تعيش فيه بتبايناتها المختلفة، ولذلك فإن تشكيل الشخصيّة في عمل روائي ما يرتبط بالضرورة بموقف المؤلف من شخصية لاقتراب توجهاته من توجهات هذه الشخصيّة»[3]؛ تتميز الشخصيّة بكونها تشكل ثلاثي ما بين وجودها هي وسياقها الكائنة فيه وموقف المؤلف منها، والشخصيّة تلعب دورًا أساسيًا في إعطاء ملامح الرواية بشكل عام؛ من خلال دورها في إبراز الرمز المتخيل أو المحكي من وراءه.

ومن هذا المنطلق يمكننا القول أن: «الرؤية العامة التي يتضح بها النص الروائي هي في النهاية خلاصة اشتباك المواقف المختلفة، وجدلية تداخلها وتفاعلها وما تفضي إليه من موضع نهائي، هو في الحقيقة إرهاص للمرتجى والمأمول، ورهان على اتجاه تتطور فيه الأحداث أو على وجهة تعتمدها في سلوكها الشخصيّات المعنية بها»[4]؛ هذا الثلاثي المتحدث عنه تكتمل دائرته المسعى إلى تحقيقه في جمع تلك الإرهاصات التي تشكل النص الروائي في صيغته النهائية وإخراجه في قالبه الفني والجمالي المراد منه.

---

[1] جيرالد برنس، علم السرد، ص 201.

[2] محمد مصطفى علي حساسين، استعادة المكان، ص 28.

[3] عادل ضرغام، في السرد الروائي، ص 40، 41.

[4] سامي سويدان، فضاءات السرد ومدارات التخيل، دار الآداب،بيروت،ط،1،2002،ص61.

إن علاقة المكان بالزمان والأحداث علاقة متداخلة؛ لا يمكن تناول عنصر بمعزل عن الآخر، وهذا التداخل ناجم عن عدم إمكانية الفصل فيما بينهما لأن حضور إحداهما يستدعي حضور الآخر، فهذه العناصر تساهم في بناء معالم العالم الروائي.

المطلب الثالث: الوصف المكاني.

ويتضمن:

أولا: أهمية وصف المكان.

يعد الوصف دعامة أساسية من الدعامات التي تقام بواسطتها المشاهد المكانية في الرواية لتعرض أمام القارئ، وهو أداة فعالة في التعريف بالمكان واستقصاء جوهره وتجسيد عمقه الحضاري.

والروائي حين يلجأ إلى وصف المكان الروائي، فإنه يهدف من وراء ذلك إلى بث المصداقية فيما يروى، بحيث يجعلنا «نقف على الصور الطبوغرافية للمكان والتي تخبرنا عن مظهره الخارجي»[1]، ذلك أن الروائي حين يصف المكان الطبيعي ، يستثمر عناصره الفيزيائية لتجسيده، فالوصف أداة لتصوير المكان وتبيان جزيئاته وأبعاده، وهو بتوظيفه عناصر المكان المحسوسة لتشكيل مكانة المتخيل، إنما «يدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخيلي ويشعر القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال ويخلق انطباعا بالحقيقة أو تأثيرا مباشرا بالواقع»[2]، والروائي حين يعمد إلى إسقاط مجموعة من الصفات الطبوغرافية على المكان الروائي، والتي هي عبارة عن «المعاني الوصفية التي تدخل في تركيب صورة المكان والقيم الرمزية المنبثقة عنها»[3]، إنما يفعل ذلك بغية البرهنة على العلاقة بين المكان والشخصيّة في النص الروائي.

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص60.

[2] سيزا قاسم ، بناء الرواية،ص82 .

[3] حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي، ص47.

وحتى يتم وصف المكان بكل جزئياته وأبعاده، يستثمر الروائي العناصر الفيزيائية للمكان، وبفعله ذلك يريد أن يدخل العالم الخارجي بجزئياته في عالم الرواية التخيلي حتى«يشعر القارئ وأنه يعيش حقا في عالم واقعي وليس في عالم متخيل»[1]، وذلك للكشف عن الفروق الاجتماعية والنفسية والإيديولوجية لشخوص الرواية، عاكسا ما «يثيره المكان من انفعال سلبي أو إيجابي في نفس الحالِّ فيه»[2]، بحيث يصبح للمكان أبعاد نفسية تسبر أغوار النفس البشرية.

إن وصف الروائي للمكان قد يقتصر على بؤرة بعينها أو يكون شاملاً بحيث يعرض مشهداً أو مشاهد مكانية كاملة ، والروائي من خلال ذلك يهدف إلى :«تهدئة الحركة السرديّة الصاخبة ، والتخفيف من حدة الأحداث القهرية، من خلال بث صور بصرية تتسم بالرومانسية... ما إن تقع عليها العين حتى تستشعر الهدوء والسكينة»[3]، ولذا يُعدّ الوصف أحد المقوّمات الجماليّة التي تساهم في إضفاء جو شاعري على النص الروائي.

ونلحظ أن الصفات الطبوغرافية التي يسقطها الروائي على المكان محددة إياه من حيث الشكل والنوع، تؤكد لنا مدى استثمار الروائي لتلك الصّفات التي تخلف نوعًا من الدلالات تغذي نصه الروائي، ومن بين هذه الدلالات تحديد حركة المكان لأنها تكشف عن «مفهوم الحرية ، حرية الإنسان في استخدام المكان ومحاولته أن يجعل المكان على الرغم من محدوديته حقلاً واسعاً يتحرك فيه كيفما شاء»[4]، فهذه الدلالات التي تغذي النص الروائي، تمثل منعطفات مشعة في عالم النص.

وقد يلجا الروائي وهو يشيّد مكانه إلى وصف مباشر، هذا الوصف يعتمد على الصورة الفنية التي

---

[1] سليم بتقة، نظرية المكان وأهميته في العمل الروائي، مجلة المخبر، ابحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السادس،2010،ص6.

[2] مصطفى الضبع، استراتيجية المكان، ص109.

[3] المرجع نفسه، ص 119.

[4] المرجع نفسه، ص 65 .

هي« نجاح لفاعلية الخيال وفاعلية الخيال لا تعني نقل العالم أو نسخه، وإنما تعني إعادة التشكيل واكتاف العلاقات الكامنة بين الظواهر والجمع بين العناصر المتضادة أو المتباعدة في وحدة»[1]، ولا يمكن أن تكون هذه الصورة إلاّ حين يكتسب المكان «صفة سيميوطيقية من خلال إعطائه قيمة دلالية تميز بين الظواهر المكانية التي يختلف بعضها عن بعض في الواقع»[2]؛ فالشيء في الوجود الخارجي قد يشير إلى حقيقة واقعة في العالم وأما وجوده داخل النص الروائي، فإنه يكسب دلالة خاصة، فالصورة الفنية إذن تتعدى حدود الرؤية للمكان بعناصره الفيزيائية إلى المشاركة الوجدانية.

الروائي إذن «في وصفه للمكان باستطاعته خلق علاقة لغوية متولّدة تتمتع بخصوصياتها من السياق والموضوع داخل النص وأنه باحتواء المكان الواحد لمفردات متنوعة تشكل تفاصيله وجزئياته تتبلور لوحة في غاية التركيب وقد تبدو للوهلة الأولى بسيطة، وبتواجدها في السياق الروائي يحوّلها إلى رموز يصبح معها كل شيء موظّفا وحتى ما يبدو هامشيًّا، يؤدي وظيفته في إطار هامشية وهذه الرموز تعيد تشكيل أدبية الرواية وتجسد الرؤية وتؤسس جماليات جديدة»[3]

كما أن الوصف هو «ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات»[4] فغاية الفنان حين يلجأ إلى الوصف هو أن يجعلنا نرى الأشياء أكثر وضوحا، والمكان يجسد في «الصور التي تقدمها الرواية وقد يكون ظاهرا، حيث يصفه الروائي وصفا دقيقاً أو باطنًا يدفعك إلى استبطانه من خلال رموز الكلمات وتطور الأحداث وبالتالي تصبح البيانات التي تضمها الرواية الأساس في كشف المكان»[5]؛ بمعنى أن المكان في الرواية

---

[1] يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، ص81- 82 .

[2] المرجع نفسه، ص 86 .

[3] ينظر، سليم بتقة، نظرية المكان وأهميته في العمل الروائي، ص8 .

[4] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،ص32.

[5] كلثوم مدقن، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد الرابع،2005، ص143.

قد يكون ظاهرا وجليًّا للعيان، وقد يكون خفيًّا بعيداً عن التقريرية والمباشرة، يستكشفه من خلال رموز مضمرة داخل العالم الروائي.

يقوم السارد في الرواية عادة باستعراض المحيط أو المجال الذي يتحرك فيه الشخصيّة وتجري في إطار الأحداث و «غالبا ما يأتي وصف الأمكنة في الروايات الواقعية مهيمناً، بحيث نراه يتصدر الحكي في معظم الأحيان»[1]،أي أن الأماكن توصف وصفاً يتناول كل جزئياتها، غير أن درجة التأطير تختلف من روائي إلى أخر.

ولعلّ الاهتمام بالمكان يتجلي من خلال وصف المكان باعتباره «لا يمثل خلفية الأحداث فحسب بل والإطار الذي يحتويها، والمكان هو عنصر فاعل في الشخصية الروائية يأخذ منها ويعطيها ، فالشخصية التي تعيش في الجبل يطبعها الجبل بطابعه فيظهر أثره في طباع السكان وسلوكهم ، والشخصيّة التي تعيش في المدن تطبعها المدن بطابعها، و يتجلي أثر ذلك في سلوكها أيضا وكما يؤثر المكان في السكان ، فإن السكان أيضا يؤثرون في المكان بعلاقة جدلية»[2] ؛ نستنتج من خلال هذا القول أن الوصف هو تقنية وأداة أساسية تتم من خلالها وصف الأشياء في واقعها الحسي؛ والروائيون في وصفهم للمدن والبيوت والأحياء... يعكسون بذلك القيم الاجتماعية والنفسية والإيديولوجية التي يريد الرواي التعبير عنها، فمن خلال الوصف يعبرون عن الحالة الاجتماعية التي ينتمي إليها أبطال الرواية.

إنّ الوصف هو الأداة المثلى التي تستخدم للتعريف بالمكان في النص الروائي ومن غير الممكن الحديث عن المكان دون التطرق إلى الوصف، لأن الوصف هو الذي نلج من خلاله إلى تفاصيل المكان بأشيائه وحيثياته.

---

[1] حميد لحمداني، بنية الخطاب السردي، ص65.

[2] محمد عزام، شعرية الخطاب السردي ص70.

ثانيا: وظائف الوصف.

وللوصف وظائف ينهض بها في النص السردي، يمكن تقصيها من خلال دور الوصف في بناء المشهد السردي في الرواية العربية والتي يمكن بيانها بما يأتي:

1- الوظيفة الزخرفية:

وفيها يكون الوصف « إيقافاً لحركة الزمن لكي يظهر الألوان والظلال بطريقة انطباعية أو زخرفية؛ أي أنه ذو وظيفة جمالية تزينية، لأن الوصف يوقف تدفق الأحداث ليمنح الكاتب فرصة لتأمل مظاهر الأشياء ووصف أبعادها وهيأتها، مما يشكل نوعا من الراحة له، وقد يفعل بتأثير الأبعاد المكانية والتضاريسية، أو بإيحاء من وصف من أجزاء العمل الأدبي لكون السرد مرتبطا بحركة الأحداث والوصف يوقف حركتها، فيفزع الكاتب ويمتلك حريته فيلتفظ أنفاسه بعيدا عن تشابك الاحداث والشخصيّات»[1] ؛ بمعنى أن هذه الوظيفة الزخرفية يكون فيها الوصف إيقافاً لزمن السرد وعنصرا طارئا عليه، ولا تكون له أهمية على المستوى الدلالي للنص الروائي، بل يكون لتواجده غاية تزينية تريح المتلقي من تتابع الأحداث.

2- الوظيفة البنائية:

وفيها يوقف الوصف «حركة السرد والأحداث في المكان وتخيل اللوحة الأدبية التي هو بصددها إلى مشهد سردي يقربه من المشهد المسرحي، فيخلق شيئا من الراحة عندما يوقف الرواي سير الأحداث ليضعنا وجها لوجه مع المشهد، وهنا يتحدد الحدث و يأخذ هويته ليعدو مسرحا للحياة بكل أبعادها»[2]؛ فالوصف في هذه الوظيفة لا يقتصر على كونه عنصرا تزينيا في النص بل يتجاوز ذلك إلى ترسيخه بوصفه عنصرا ضروريا لبناء السرد، لا يمكن الاستغناء عنه، بل يكون وجوده شرطا أساسيا لمعرفة المكان والشخصيّات.

---

[1] سالم الحسيني، الوصف الروائي من جهة أخرى، نقلا عن الموقع الإلكتروني:www.shathaaya.com,12-04-2016,15:30.

[2] المرجع نفسه.

3- الوظيفة التفسيرية:

في هذه الوظيفة « يقوم الوصف بوظيفة تفسيرية و رمزية تهتم بتفسير الأحداث و ما يتعلق بالشخصيّات وذلك حينما يلجأ الكاتب إلى ذكر مظاهر الحياة الخارجية و بيان أبعادها وملامحها كالمدن والمنازل والأثاث والملابس ولغرض الكشف عنها أو تفسير حياة الشخصية ومزاجها وطبائعها»[1]؛ وهي تقتضي بأن يكون الوصف عنصراً أساسيًّا وفاعلاً في النص السردي، يضيء ويكشف جوانب لها علاقة بالمكونات السرديّة الأخرى.

4- الوظيفة الايهامية:

للوصف وظيفة إيهامية « تهتم بالعالم الخارجي وتفاصيله الصغيرة الخاصة بعالم القصة التخيلي، مع أن المتلقي يعيش في عالم الواقع لا في عالم الخيال»[2] أي أنها تمارس دور الإيهام بالواقع من خلال وصف الأشياء والتفاصيل بشكل يحيل إلى وجودها في العالم الخارجي.

فلعل هذه الوظائف الأربعة هي أهم وظائف الوصف لا يمكنه الخروج عنها، والوصف أولاً وأخيراً هو تقنية شيقة من تقنيات السرد.

---

[1] سالم الحسيني، الوصف الروائي من جهة أخرى، نقلا عن الموقع الإلكتروني:www.shathaaya.com,12-04-2016,15:30.

[2] المرجع نفسه .

الفصل الثاني

يرمي هذا الفصل إلى تحديد الأماكن ودلالتها؛ وإبراز أهميتها في إقامة دعائم الراوية، وسنتطرق في هذا الفصل إلى توضيح القيمة في تناول المكان؛ ومتابعة تطوراتهم في الرواية وإبراز شبكة العلاقات التي تقيمها مع بقية المكونات الروائية الأخرى ومن ثمة كيفية تفاعل الشخصيات معه وإنتاج الدلالة.

إن خاصية انغلاق الأمكنة وانفتاحها في الرواية من شأنها أن توفر فهم أعمق للمضامين المبطنة في المكان الروائي وتزود القارئ بدرجة عالية من المعارف والمكتسبات إذ لا بد من إزالة الاعتقادات السلبية التي طغت على فكر المتلقي أي أن المكان المغلق لا يمارس نشاطات دلالية لكونه معزولا عن الممارسات الخارجية، بل قد يكون هدا المكان أكثر إنتاجية لأنه غير معرض للتأثيرات الخارجية التي تقلل من قيمته الإنتاجية والدلالية.

وقد ولد توظيف الرواية لمثل هذه الأمكنة المغلقة إلى تفاعل عنصر الشخصية مع المكان الذي يفسح باب الحرية لتنقلها من حيز لآخر لتخفيف من الضغوطات التي تعرقل حركتها، كما أن خاصية الأماكن المفتوحة في الرواية، دعمت نسيج الأماكن المغلقة وسمحت للشخصية من ممارسة نشاطها ،لأنها منفتحة على المؤثرات الخارجية التي تزيد من إنتاج الدلالة.

المبحث الأول: المكان المغلق تجلياته ودلالاته في رواية "الإعصار الهادئ".

المطلب الأول: تجليات ودلالة البيت:

وهو مكان مغلق يشغل حيّزًا مهماً في حياة الإنسان إذ أنه غالبًا ما يكون مصدر راحة وطمأنينة، وله دور كبير من الناحية النفسيّة للإنسان يحميه من التشرد والضياع فالإنسان يحقق ذاته من خلاله، إذ يعتبر المكان الوحيد الذي يتصرف فيه الإنسان بحرية.

يمثل البيت حياة الإنسان أو المهد الأول لطفولته وتكوين شخصيته، فهو مكان الاستقرار والسكينة كما أنه يساهم في تكوين الشخصية لدى الأفراد فالبيت:« هو ركنا في العالم، كما قيل مراراً وتكرارًا أنه كوننا

الأول كون حقيقي، لكل ماللكلمة من معنى، وإذا طالعنا سيبدو بيت جميل، فهو مكان للراحة يحمي أحلام اليقظة والعالم ،ويتيح للإنسان أن يحلم بهدوء ،ونظراً لأن ذكرياتنا عن البيوت التي سكناها نعيشها مرة أخرى كحلم يقظة، فإن هذه تعيش مع طيلة الحياة... »[1]، فالبيت يمثل عالم الإنسان فهو الحامي لأحلامه وذكرياته باعتباره صديقًا دائمًا لحياة الفرد وهو الذي يُسكنُ عقله الراحة والهدوء.

من هنا فقط اختلفت دائما دلالته و:« لم يعد البيت في الخطاب الروائي ركن من الجدران تزينها مجموعة من الأثاث يصفها، بدقة دون أن نجاوزها إلى الحضر الإنساني والوصول إلى اللمسات الموحية بالروح التي نسكنه لقد أصبح البيت دلالة تنطلق من زواياه لتدل على الإنسانية...» [2]، بمعنى أن البيت لا يقتصر على المكونات الداخلية ووصفها فقط بل يتجاوزها إلى أبعد من ذلك ليحمل دلالة إنسانية يعبر بها عن الشعور البشري والكشف عن أسراره الكامنة في الحياة، فيلجأ إليه الفرد للتخفيف من أوجاع الدنيا وآلامها ويفصح عما بداخله وسط هذا المكان الذي يحسسه بالهدوء.

وتنقسم البيوت في " رواية الإعصار الهادئ" إلى بيوت رئيسية وأخرى ثانوية.

أ- البيت الرئيسي: بيت البطل" صالح".

بيت "صالح" الذي أضحى بمثابة دوامة لها عند الدخول إليه، لأنه يذكره بمعاناة البطالة، لهذا لا يريد الرجوع إليه إلا للضرورة، مثل الأكل أو النوم لا لشيء إلّا لأنه منغمس ومشغول في البحث عن عمل، حتى لا يتلقى تلك النظرة الموجعة له من طرف العائلة، كونه بكرها والكل يبني عليه الآمال فكان كلما وطأة قدماه باب المنزل تبدأ الاستفسارات والأسئلة ترسم على وجه كل فرد من العائلة وكأنهم يبحثون على جواب ولو بالملامح:« كنا نسكن في حي شعبي يقع في ضاحية المدينة الوالد متقاعد وإخوتي يدرسون ويستهلكون ويحتجون وأنا أكبرهم مازلت مثلهم أعيش في كنف الأسرة التي تعاني، كانت كلمتي مسموعة ولكن عيونهم

[1] غاستون باشلار، جماليات المكان، ص 35.

[2] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص 205.

تقول كل شيء وأحيانًا يتكاسلون في التحصيل الدراسي، ولما لا وهم يرون نموذجاً فاشلاً أمامهم » [1]، وهنا أصبحت علامات الضجر والحسرة تسرق البسمة من وجه "صالح" وبالتالي يصبح البيت اضطرارياً.

وتصوير البيت في راوية" الإعصار الهادئ" لم يكن من خلال الركام والجماد أو وصف للأثاث بل وصفه من خلال موقعه في مدينة "تقرت"، وبذلك يحضر المكان ببعض جزئياته وتفاصليه وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال وصف البطل لما يدور من تصرفات داخل البيت الممتلئ للأهل والأحبة اللذين يكنُّ لهم الحب فهذا الجو العائلي يزيد من ارتياحه لكنه عندما يتطلع إلى حالته يحس وكأنه عنصر مرفوض وانتهت مدّة صلاحيته.

"صالح" البطل المثالي الذي تخرج من الجامعة وأدى نشاطه داخل الخدمة العسكرية لا يزال يعاني البطالة واليأس، إلاّ أنه إلى جانب معاناته هذه أصبح مشتبها به من طرف مصالح الأمن، فعلا أصبح زمن الشكوك والاتهامات تصب على الفقراء وأصحاب الدخل الضعيف، أما المتهمون فعلا لا ينظرون إليهم الأم قلقلة على ابنها وصفْوُا العائلة معكّر، كما لو أن إعصارًا اقتلعهم وأن كتلة من الثلج جمدت حركتهم. «دخلت البيت حتى فوجئت به يتوقف بدون سابق إنذار عند محطة العائلة ما الذي يجري هنا؟ لم تجتمعون في غرفة الضيوف منذ العيد الماضي وما لي أرى الحزن يكتنف وجوهكم؟

– لقد زارنا هذا الصباح... رجل أمن سأل عنك وترك لك هذا الاستدعاء ويقول بأنه يتعين عليك التوجه إليهم بسرعة » [2] ،بالفعل كان المكان هنا حيّزًا يشلّ حركة الأفكار وسيرانها داخل العقل، فهنا البيت يحمل دلالة تأثير بين الشخصيات والأحداث الحاصلة هناك فيكشف عمّا هو مخبوء وكامن.

وقد أراد البطل التخفيف عنهم وهو يتأملهم« لا تقلقوا، قد يكون تحقيقاً إدارياً خاصا بالوظيفة الجديدة » [3]، الأم في هذه الأثناء مستغربة لما حصل و لم تقتنع بالإجابة« منذ متى يوزع رجال الأمن

---

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2007، ص 08.

[2] المصدر نفسه، ص 53.

[3] المصدر نفسه، ص 53.

الأزهار على بيوت المواطنين... أمي كوني واقعية، رجل الأمن مواطن عادي مثلنا جميعا لديه أسرة وأطفال ويعيش معنا في هذه البلاد ويتأثر بغلاء المعيشة.. » [1]، مما سبق ذكره فقد جاء "البيت" هنا مرتبطاً بشخصية البطل "صالح" وبطبيعة أفكاره ورؤاه ومدى تعاطفه مع الموضوع المقدم له، إلاّ انه يستدعي معادلة للوصول إلى دلالة تحمل على عاتق فكره، يقول السارد:« بمجرّد ما أكملت غدائي، وضعت الاستدعاء في جيبي وقررت التصرّف كمواطن نزيه، تطلبه الحكومة لغرض يخدم المصلحة العامة، ودعتني الوالدة وكلها أمل في عودتي سالماً » [2] تم يعود ويسرد أحداثه من جديد« قررت التوجه إلى المنزل مباشرة فلم يعد لي مزاجاً للذهاب إلى المقهى » [3] ،فهنا يتجسد بيت البطل مثلما جاء في المثالين السابقين كل حالته النفسيّة المتأزمة، فهذا المكان هو ملجأ له يكشف فيه عن ما يخزّنه من أوجاع حينما تنفتح ذاكرته ليفصح عما بداخله.

يتابع السارد في " الإعصار الهادئ" حركة البطل " صالح " التي تفصح عن أهم الدلالات المتعلقة "بالبيت" في هذه الرواية يقول « وجدت ضيفا عائليا مع الوالد، كانا يتبادلان أطراف الحديث ويتذكران طفولتهما جلست معهم ولكنني وجدت نفسي بعيدا كل البعد عن انشغالاتهما... توجهت صوب الوالدة بالمطبخ وطبعت على جبينها قبلتي الصباحية المعتادة فهي دوماً مصدر الأمان والأمل اليومي... » [4] السارد في هذه الرواية يواصل سرد تفاصيل البيت، من خلال التركيز على الحالة النفسيّة للبطل، فهذه الحالة التي يوجد عليها بيته تجعل منه مصدرًا لتفاقم إحساسه والتأقلم مع الجو داخل هذا المكان للهروب من ذكريات الماضي « لا أدري سرّ القوة اليومية التي مازالت تدفع جسمي إلى النهوض، الوالدة تسرد حكايات غير مفهومة

---

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 53-54.

[2] المصدر نفسه، 57.

[3] المصدر نفسه، ص 64.

[4] المصدر نفسه، ص 97.

والوالد يتجاوب معها... الأطفال يواصلون حروبهم غير المعلنة ولا مجال للهدنة أو للسلم... » [1]،فهنا نلتمس لحظات السعادة المصحوبة بالألم وكأن "صالح" يحاول أن يظهر ملامح الفرح رغم الضجر والحزن، وعلى الرغم من انغلاق "البيت" وانحصاره إلاّ أن لحظات الحرية والرغبة في الانفلات من أزمة البطالة والمصالح التي سادت البلاد قد جعلت من بيت "صالح" فضاء مفتوحا على أغوار النفس يتبادل فيها البطل والشخصيّات أطراف الحديث، إلاّ أن شدة الفقر وانعدام العمل وقلة الدخل بدأت تحمل بعض دلالاتها السلبية« جلست إلى مائدة الغداء، الوالدة تسعى دومًا إلى التجديد ولكن في ظل نقص المواد المالية، أصبحت مضطرة إلى التركيز على الجانب الكمي... » [2]، وما من شك فإن تطلع الشخصية إلى مثل هذه الحالة جعل لأزمة معاناتها تتفاقم أكثر، فما يخزنه البيت من أحداث ربما لا يزال متواصلا «وفجأة سمعنا طرقا قويا أسرع أخي الأصغر نحو الباب تخيّلت بأن الجهات الأمنية تبحث عني من جديد... » [3]،يبرز هذا البيت أيضا مكانا للآخرين يقول:

« سمعت بكاء حادا وصراخا يدل على حادث مريب إنها الحاجة زهراء أم مروان.... اجلسي ما بك، ماذا حصل؟

– لقد مات ابني ، مات ولدي الوحيد، انتهت حالتي الآن »[4]، تبرز الرواية هنا البيت مسبحا للدموع والغرق وسط الأحزان لم يعد يحمل صورة إيجابية توحي بالأمان، فقد ارتبط ببعض الدلالات التي تعبر عن الخوف الدائم مما يدفع بالطبل إلى التنقل من مكان طفولته « خرجت من المنزل والكآبة تغمرني ترى الأم المنكوبة تواصل سرد مأساتها والوالدة تحاول مواساتها في أمر من الصعب تقبله، الموت يضرب في أي وقت وفي أي

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ ، ص 156.
[2] المصدر نفسه، ص 242
[3] المصدر نفسه، ص 243.
[4] المصدر نفسه، ص 244.

مكان يريد » [1]، يحمل هذا البيت الذي يعيش فيه البطل رفقة والده وإخوته في هذه اللحظات دوامة من الصمت والانقطاع عن العالم الخارجي، لكن في ظل هذا الفراغ الذي يعيشه البطل، يريد مغادرة هذه البلاد لإزالة شبح الفقر عن البيت العائلي.

إضافة إلى ما سبق يرتبط هذا البيت بدلالات تتمثل في الفراغ القاتل الذي ستتركه الشخصية داخل المنزل« ...والدتي أضحت حزينة جدا، لا تصدق بأن ابنها البكر سيترك البلاد والوالد يخفي في أعماقه بعض الأسى، لكن يا بني هل أنت متأكد فعلا من صدق هذه الشركة... لقد وصلني عقد عمل من سفارتهم مع التأشيرة وكل الوثائق الضرورية... الوالدة تفضل الصمت الدائم هذه الأيام... » [2]،يتعرض بيت البطل إلى ثنائية تحمل دلالة ضدية بين الفرح والحزن، جسدت صورة عامة للبيت وكأن شخصية البطل هنا هي التي يتحرك في إطارها هذا المكان وحركة أحداثه وتسلسلها داخل البناء الروائي، يقدم السارد لمحة أخيرة وموجزة حول حركة البطل والشخصيات داخل هذا المكان« كانت لحظة وداع العائلة صعبة جدا، الوالدة تبكي والوالد يخفي حسرة في أعماقه » [3]،فالأحداث هنا تجلت في المكان المغلق الذي ساهم في تشييد معالم المعمار الروائي.

عكس لنا "البيت " الشخصية البطلة بين الماضي والحاضر، فبعد أن كان مصير "صالح" مجهولا تغمره الأحزان والتوترات والفراغ الرهيب من أزمة العمل، تحول إلى حياة جديدة فالدور التي قامت به الشخصية البطلة داخل هذا الفضاء المغلق زادت من حيوية الخطاب في العمل الروائي وحبكة الأحداث والشخصيات الثانوية الأخرى بحركة الزمن.

---

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 246.

[2] المصدر نفسه، ص 265.

[3] المصدر نفسه، ص 268.

ب- البيت الثانوي:

1- بيت توفيق:

إضافة إلى دلالة البيت الذي مثلته شخصية البطل "صالح " فيما تم ذكره سابقا، ربط السارد البطل أيضا ببيت صديقه "توفيق " ليطلعنا على هذا التنقل من البيوت الرئيسية إلى الثانوية والخروج من الفراغ والظلمة التي سلطت على شخصية البطل للوصول إلى جو يسوده الفرح والمتعة« قررت التنقل إلى منزل العريس من أجل معاينة التحضيرات ومساعدته إن تطلب الأمر دعما إضافيا.... السيارات في كل مكان والأطفال يملأون المكان بالصخب والفوضى... توفيق بأناقته المعتادة يقف وسط مجموعة من الشباب يواصل تقديم آخر عروضه البطولية » [1]،إذا البيت هنا بدا وكأنه مجال واسع لتنقل الشخصيّات عكس كل الدلالات السلبيّة .

فالشخصيّة البطلة هنا تزيد من قيمة الفن الروائي، وتفسح المجال أمام الشخصيّات الأخرى لتفعيل حركة البيت، وجعله كما لو أنه مكانا للعرض يقصده الكل لمشاهدة أهم الأحداث، وكأن السارد يحاول أن يرسم بيت البطل الذي كان مكانًا للتوتر والضغط فيحوله إلى بيت شخصية "توفيق " الذي يوحي بالفرح بغرض محو التأزم والصراع الداخلي الذي عمّ على الجو الداخلي للرواية يقول الراوي: « وصلت إلى بيت العريس، الحركية التي شهدها المكان تدل على العرس في أوجّه، استقبلني والد توفيق مبتسما... القاعة غاصَّة بالمهنئين وتوفيق في الوسط باللباس التقليدي المميز، وما إن رآني حتى وقف مبتسما » [2]، فالسارد هنا يحاول أن يزيد من حركة الشخصيات داخل بيت« توفيق » وتنظيم صيرورة الأزمنة والأحداث بحسب ما تقرره الشخصية البطلة، وكأن البطل يروّح ويرفّه عن نفسه في هذا المكان من خلال انسحابه مع الشخصية المصاحبة

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 208.
[2] المصدر نفسه، ص 259-260.

له؛ إلاّ أن السارد يحاول أن يطلعنا برغبة البطل في مغادرة هذا المكان« تركت توفيق يواصل استقبال ضيوفه وغادرت المكان بكل هدوء... » [1]، ووفي ظل هذا فإن ما عاشه البطل من خلال تواصله مع شخصية أخرى داخل بيت غير بيته جعلته يتطلع إلى الأمام فقط؛ مبحرا داخل هذا المكان الذي وجد فيه نوعا من الألفة مع شخصيات أخرى تاركًا بعضًا من آلامه وأوجاعه فبيت "توفيق "هنا هو مكان وجد فيه البطل "صالح" ارتياحه فهو قد جسّد فيه بعضا من ملامحه الايجابيّة.

فهذه العلاقة بين الشخصيتين جعلت من المكان فضاء إقامة ذا أبعاد إيجابية صيّر مسار الشخصية، فليس البيت وصفًا هندسيًّا تزينيًّا، وإنما هو حضور مُلمٌ وبارز تمثلأ فيه حياة الشخصية وحضورها البارز؛ لينتقل بعدها الراوي إلى بيت شخصيات أخرى ثانوية.

2- بيت "مراد":

تعددت البيوت وتنوعت على حسب تعدد الشخصيات داخل رواية" الإعصار الهادئ " باعتبارها المأوى والمسكن، فهذه الأماكن تساهم في بناء العمل الروائي الثانوي والمتمثلة في بيت " توفيق " مرورا ببيت "مراد" وزوجته؛ فالسارد تعمّد هذا التعدد في البيوت والتنوع بحسب الشخصيات المنتمية إليها، فكان بيت "مراد" يعكس ذلك الصراع مع زوجته التي تعاني نوعا من النقص والخيانة الزائدة التي تتلقاها من زوجها الذي لا يدخل إلى البيت إلا في أوقات متأخرة، لذا قررت الزوجة أن تستعين بأسلوبه في الخيانة لتفادي الشجار والمشاكل اليومية معه.

ومن ثمة فالسارد يريد أن يطلعنا عن الدلالات السلبيّة التي يحملها هذا البيت؛ وما تخلّفه مثل هذه الشخصيّات من صراعات في ثنايا الرواية، حيث يسرد لنا الراوي أهم الأحداث التي تدور في هذا الفضاء المغلق« أغلقت سكينة جهاز التلفزيون وأخذت تنظر إلى ساعة يدها بقلق، لقد تأخر زوجها مراد مهامه

[1] بوفاتح سبقاق، الاعصار الهادئ، ص 261.

الكبيرة كمدير جعلته يتناساها ويهملها.... رزقهم الله بأربع بنات ولكن كل طرف يحمل الأخر أسباب تدهور الأسرة... » [1]،فمن خلال المثال الذي عرضه السارد، أراد أن يلمح إلى أن الدور الذي تلعبه الشخصيّات وسط البيت، هو غير فعال فهي تجعل منظر هذا المكان ملوّث، فالبيت هنا كأنه يصوغ دلالة وحشية يصحبها القهر والذل وانعدام الاحترام وكأن الشخصية هنا كسرت البناء المعماري للبيت ،كما تتصل هذه الرؤية الداخلية للمكان بدلالات الكره والحقد والأسى، إذ أنها تكشف عن حياة لا مصير لها.

يحاول السارد هنا أن يطلعنا على الدلالة التي يحملها البيت، وما مدى تأثيرها على سيرورة الأحداث، ويتابع في " الإعصار الهادئ " حركة الشخصيات داخل هذا المكان حتى يفصح عن التصورات والرؤى التي تحمله .

«... توجهت إلى الصالون، مراد مازال جالسا على الأريكة يدخن بشراهة.

– ما بك يا مراد.... لم تتناول فطورك؟

– أنا بخير ولست بحاجة إلى عطفك وشفقتك..

نهض غاضبا ورمى بجهاز التحكم نحو الحائط ودفع بالطاولة التي كانت أمامه فتناثرت محتوياتها على الأرضية... » [2] ،فهنا يتحول البيت إلى مكان للصراعات والنزاعات، حيث نلمس نوعا من الصراع الداخلي بين الشخصيات، فهنا تتضح وظيفة البيت الهدمية لا البنائية في الرواية، سببها تكرار الأحداث التي سببتها الشخصيات المتصارعة.

يطلعنا السارد في الرواية عن خيانة الزوجة "سكينة "لزوجها "مراد" داخل البيت، وكأن البيت أصبح ساحة أو مذبحة لسفك الدماء« ... حاولت سكينة الاقتراب من نافذة الغرفة لطلب النجدة ولكن مراد كان

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 79.

[2] المصدر نفسه، ص 219-220.

أسرع واستقبلها بطعنات متوالية في صدرها... » [1]، يواصل السارد تفاصيل ما يحدث في هذا المكان المغْلق من خلال تركيزه على الحالة الفوضوية والرعب الذي جسد وسط هذا البيت ويحاول أن يسرد لنا كيفية نهاية عشيق الضحية« نذير » على يد صاحب المنزل يقول« ...سقط نذير قرب التلفاز وكأنه يرغب في مشاهدة برنامجه المفضل قبل الانتقال إلى العالم الأخر لكنه لم ير سوى سكينا لامعاً يهبط على جسمه شاقوليا، حاول بكل ما أوتي من قوة إنقاذ نفسه لكم سرعان ما فارق الحياة » [2]،ويمكن القول أن هذا المكان فقد تقاليده ونظمهُ وانزاح عن وظيفته الحقيقية التي وجدَ من أجلها، والمتمثلة في السكن أو الإقامة.

ثم يواصل الراوي سرد ما تبقي من حيثيات هذا البيت يقول:

« بعد ا ن أكمل مراد مجزرته العاطفية، جلس على الأريكة يتابع قنواته الفضائية... فجأة سمع صوتاً قرب الباب الخارجي حملَ سكينة من جديد... فتح الباب فإذا به يفاجئ برجال الشرطة شاهرين أسلحتهم نحوه.

– ضع السكين على الأرض وارفع يدك إلى فوق.... » [3]،وقد تجسدت الرواية العامة للبيت على جملة من الدلالات السلبية منها: الحزن والألم، النزاعات والمشاكل، العصبية والقتل وهذا ما أثر سلبًا على نفسيَّة الشخصيّات، خاصة في بيت الزوج وزوجته.

لقد حظي البيت كمكون من مكونات المكان باهتمام الروايات لأنه يزيد من قيمة الخطاب داخل العمل الروائي، ومن هنا تبرز أهمية الرواية كفن أدبي له مكانته بين باقي الأنواع الأدبية نظرا لما تحتويه من أماكن وأحداث تساهم في إبرازها الشخصيات .

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 255.
[2] المصدر نفسه، ص 256.
[3] المصدر نفسه، ص 256-257.

المطلب الثاني : تجليات ودلالة المبنى الإداري والمبنى الأمني.

المبنى الإداري:

هو عبارة عن مكان مغلق يخص فئة ذات نفوذ يقوم وجودها على أساس كونها تمثل علاقة الحاكم بالمحكوم، وتحتوي على مجموعة معينة أو عدد معين من الموظفين وتنتمي هذه الأماكن إلى الدولة فهي جهاز من أجهزتها ورمز لسلطتها ولغة التحكم التي صارت من مميزات العصر الراهن، كما أنها تعبر عن عمل الإنسان وهي مفتاح للتقدم في أغلب المجالات ؛إذ تجعل التنظيم البشري الجماعي هادفا وتقوم على ترتيب المناصب، فهي الفضاء الذي يوجه الجهود الفكرية والإطارات المتخرجة وتدعيمها في مجال تخصصها.

فهنا يحضر هذا المكان المتمثل في المبنى أو المصلحة الإدارية لتأطير نشاط الشخصيات وكيفية تأثرها بمثل هذه الأمكنة، والسارد في الرواية يطلعنا على أهم الحوادث التي جرت داخل المكان وكأنه يحاول أن يربط شخصية البطل بهذا الفضاء المكاني ليحدث نوعا من الانتقال لمثل هذه الشخصية، بغرض إزالة العلامات السلبية التي سادت الأمكنة السابقة، فيستدعي بعض الشخصيات في هذا المكان المغلق كشخصية المدير "مراد" والسكرتيرة "سهام" ويربطها بنشاط الشخصية البطلة، ويقول السارد:

«أريدك أن توظف أحد معارفي بالمصلحة.

وهل لديه مؤهل معقول؟

لديه ليسانس في الأدب العربي...

لا تقلقي سأجد له منصبا أعطيني قليلا من الوقت ...»[1]

هنا السارد أو الراوي يجري حوارًا خارجيًّا بين شخصيتين داخل الإدارة لمواصلة سير الأحداث، أما البطل "صالح" فينتقل من مكان مغلق لآخر حتى يكسر الحواجز التي تعيق حركة سيره، ويغيّر مكانه الذي نشأ فيه

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 16-17.

لينتقل إلى المبنى الإداري.

«...باب المكتب مفتوح على مصراعيه، ورأيت سهام عن بعد وهي منهمكة في العمل على جهاز الكمبيوتر...

صالح أهلا تفضل، لم أراك منذ مدة طويلة »[1]ويركز السارد على كيفية مواصلة الأحداث ومدى التفاعل الحاصل بين الشخصيات ليربطها بالدلالات التي يحملها هذا المكان «...لقد عرضت ملفك على المدير وأبدى موافقته المبدئية ولكنه طلب مني التريث قليلا»[2]، فالشخصية لاذت إلى هذا المكان لكسر المعاناة والأوجاع وبالتالي تحضر الإدارة هنا بقيمتها الإيجابية المخالفة للحالة النفسية لذا البطل.

يعود السارد ليعالج أحداث هذا المكان وما يدور بداخله ،"سهام" لاتزال تعيش ذكرياتها الجميلة داخل المبنى الإداري وتتفحص مظهرها فهو سر مهنتها للحفاظ على مكانتها عند المدير، أراد السارد أن يخبرنا ببروز شخصية أخرى وهي "صابرين" ليزيد من الحركة الدلالية في الإدارة «صباح الخير أهلا ،مرحبا ،تفضلي هل من خدمة؟ أرغب في مقابلة المدير...بقصد الحصول على منصب عمل»[3]،فكل شخصية تحاول الإمساك بجوهر هذا المكان الذي ترتبط به مجموع القيم والدلالات.

"صابرين" تبدو وكأنها محتشمة تحمل كل صفات الحياء والخجل، المدير في المكتب ينتظر قدومها للظفر بجوهرة جديدة ،فهنا يتحول المكان من مكان للعمل إلى مكان للغزل والإفصاح عن المشاعر « تفضلي مرحبا قالت لي السكرتيرة بأنك تبحثين عن منصب عمل»[4]، ثم يعود السّارد في موضع آخر ويقول: « يشرّفنا أن تعمل معنا فتاة جامعية مثلك مثقفة ومتعلمة»[5]،ومع ذلك يصبح هذا المكان كإطار مغلق يخفي عديدا من

---

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ ، ص 48.

[2] المصدر نفسه، 50.

[3] المصدر نفسه، ص 134-135.

[4] المصدر نفسه ، 135.

[5] المصدر نفسه، ص 140.

الصور المبهمة عن مصير هذه الإدارة التي تغيرت من وثائق إدارية مكتوبة ومدوّنة إلى وثائق لفظية للإفصاح عمّا يدور في الخاطر.

"مراد" يريد الحصول على مستحقاته، و"صابرين" هي هدفه الجديد، فالمكان في رواية "الإعصار الهادئ" ستتغير مجرى أحداثه.

«أتعتقد بأنني جميلة إلى هذا الحدّ يا سيدّي؟

بعيدا عن العمل والإدارة، صدّقيني أنت أجمل فتاة رأيتها بهذه المدينة»[1]،

يرتبط المكان هنا بالأحداث السابقة ليسقط عليها السارد حالة الشخصيات، فيجعل من المكان فضاء حيويًّا.

يواصل السّارد تتبّعه لحركة البطل "صالح" داخل المبنى الإداري «دخلت المبنى الإداري وكلّي أمل في سماع أنباء جديدة عن ملفي الذي ذهب إلى العاصمة و لم يعد»[2]، تدفع الظروف الصعبة بالبطل "صالح" إلى التنقل لمثل هذه الأمكنة التي يصوّر فيها أمله في الحصول على منصب، ولكثرة مصالح وأطماع فئة من الناس ،يجد البطل نوعاً من التهميش وسط مكان يعتبر بالنسبة له الفرصة الوحيدة للظفر بوظيفة عمل .

حظيت "صابرين" بمنصب عمل داخل الإدارة طلب منها التكفل بخلية الإحصاء، وقد فوجئ "صالح" بوجودها هناك « صابرين أنت تعملين هنا يالها من مفاجأة»[3]،يبرز المكان الإداري كما لو أنّه لا يحمل أو يستقطب كفاءات عالية فلا وجود للمساواة في زمن التسلط الذي يقضي على الطبقة المتوسطة، ولا وجود لمكان دون رشوة.

ويظهر البطل في "الإعصار الهادئ" حسرته ويأسه لعدم تلقّيه أخبارًا عن وظيفته فيغيَّمُ المكان من حوله، وأراد الخروج من ظلمته هذه وكأنه سجين يبحث عن الحرية «إذاً أتركك على خير ولا تنسى الاتصال بي

---

[1] بوفاتح سبقاق، الاعصار الهادئ، ص 141.

[2] المصدر نفسه، ص 144.

[3] المصدر نفسه ، 147.

اطمئن صالح سأكلمك بمجرد ما يأتينا الإذن بتوظيفك من الوزارة»[1]،لقد تلاشت آثار المكان التي كانت واضحة فيما مضى وأعطت أملا وحياة جديدة لهذه الشخصية التي عاشت المعاناة ،فيبرز هنا المبنى الإداري مكانا سلبيا بالنسبة للبطل يحمل دلالة القهر إذ جعل من تأثر الشخصية بحركة الأحداث داخل هذا المكان المغلق حاجزا لعرقلة نشاطها.

المبنى الأمني:

وهو جهاز تابع للجهات الأمنية الدولية يحرص على سلامة البلاد وحمايتها ويظم شخصيات أمنية متعددة، يسعى السّارد هنا إلى توضيح الطريقة التي دخل بها البطل هذا المكان الذي يحمل دلالة الخوف ،وما إن تطأ قدماه هذا المبنى يجد نفسه وسط مكتب فيصفه قائلا: « دخلت مبنى الهيئة الأمنية وكلي تفاءل ،بعد دقائق وجدت نفسي في مكتب صغير يحتوي على أثاث متواضع جدّا ،صورة الرئيس تتوسط الجدار...»[2]،جاء الوصف هنا ليخفي الدلالات السلبيّة التي تظهر على الشخصية البطلة ملامح الخوف في مكان يسبّب حالة استنفار ورعب ،فصغر المكتب وتواضع الأثاث وصورة الرئيس زادت من تأزم الوضع.

ومن ثمة فتكاثف الشخصيّات داخل المكان زاد من حدّة التوتر في شخصية "صالح"، وبعد لحظات دخل رجال على مكان تواجده وقاموا باستجوابه «أنت صالح سالم من مواليد 1945 وابن السعيد ،تسكن في شارع النهضة وبدون عمل ،هل أنت عضو في الشبكة»[3]، «وكأن الأمر زاد تعقيدا وصعوبة عن أي شبكة تتحدثون؟ نحن نتكلم عن شبكة دعم وإسناد الإرهاب التي تنتمي إليها..»[4]؛ إنها تهمة كبيرة في ظل زمن المصالحة والوئام ، فالمكان هنا حمل دلالة قهر واستياء للبطل "صالح" ومن ثمة أصبح المبنى الأمني مكانا معاديا

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ ، ص 149.
[2] المصدر نفسه، ص157.
[3] المصدر نفسه، ص 58.
[4] المصدر نفسه، ص59.

للشخصية.

يحاول "صالح" أن يسرد حياته لرجال الأمن، في مكان يكاد يقضي على آخر أنفاسه، بعد أن شكّكوا في علاقته مع "عبد المؤمن منصف" هذا الأخير الذي كان يعمل إرهابيا لكن تم القضاء عليه «ألا يوجد بينكم من ينصفني؟ لقد أعطيته رقم هاتفي كما يفعل أبناء الوطن الواحد عندما يلتقون في مكان مميّز وتجمعهم حياة مشتركة ،الخدمة الوطنية بيئة طبيعية لنشوء علاقات إنسانيّة...»[1]،لاتزال الأحداث متواصلة يخيّم على المكان نوع من التسلط من قبل الجهات الأمنية، أما الشخصيّة هنا فلا تحمل إلا دلالة الدفاع عن النفس والاعتراف بحياة نظيفة.

يعود السارد ويؤكد على ضيق المكان بالنسبة للشخصية التي تعاني الصراع بداخله «وما الذي يثبت أنك لم تلتق بصديقك قبل أيام من سقوطه في ميدان الخيانة ،صدّقوني لم أراه منذ فترة الخدمة الوطنية، كان آخر لقاء في إطار وداع أقامه على شرفنا قائد الوحدة العسكرية التي كنا فيها»[2]،يبدو أن الأمان والطمأنينة بدأ يسود المكان، لأن الشخصية هنا تريد التحرر من هذا المكان الذي اخترق نظام حركتها وقيّدها.

يتابع السارد حديثه عن البطل ومكان تواجده، فالأمور أخذت مجراها في هذا المكان وزالت كل الشكوك و« من الواضح أن الرجل لا يقول إلا صدقا، يمكننا إخلاء سبيله...تستطيع الانصراف ومعذرة عن الإزعاج ولكن يجب أن تقدّر طبيعة عملنا»[3]، يحمل المبنى الأمني إرهاق وقلق لشخصية البطل وأخذ بعدا نفسيا بداخلها، إذ قلّل من جماليات الأماكن المغلقة في رواية "الإعصار الهادئ".

المطلب الثالث: تجليات ودلالة نادي الشباب الأدبي ومقهى الأنترنيت.

نادي الشباب الأدبي:

[1] بوفاتح سبقاق، الاعصار الهادئ، ص 61.
[2] المصدر نفسه، 63.
[3] المصدر نفسه، ص 63.

هو مكان يعنى بالإبداع الأدبي كالقصة والمقال والشعر، ويقام داخل هذا النادي معارضاً فنية وأمسيات ثقافية بغية التعريف بالنتاجات الأدبية والفكرية للأعضاء أو الفئة المثقفة، وهذا المكان هو مؤسسة ذات شخصية اعتبارية مستقلة ماليا وإداريا وتعنى بالأدب والمجالات التابعة له.

وقد وظف الروائي هذا المكان المتمثل في النادي الأدبي ليواصل حركية الشخصية وما مدى احتكاكها بالعنصر المكاني ،ليتابع سرده للأفعال التي تؤديها من أجل إبراز أهمية الأمكنة بالنسبة للشخصية، كما أن تكثيف الحضور المكاني زاد من الأحداث التي تسوده وتعمّ عليه.

"صالح" هذا البطل لا يزال في انتقال دائم وسط الأمكنة بهدف الابتعاد عن التوترات والضغوطات، لأنه تلقى دعوة لحضور أمسية أدبية ويبدو أن النادي الأدبي سيحمل دلالة إيجابية لدى البطل لأن هذا المكان وفّق في إيجاد موهبة جديدة للشعر في المدينة ،لأنه يستقطب شخصيات ثقافية وأدبية ذات مستوى راقي.

«مرحبا أستاذ صالح لم أراك منذ مدة طويلة.

ربما كان منشغلا بكتابة الرواية التي طالما تكلم عنها.

أبداً لم أكتب شيئاً منذ شهور ،البطالة التي أعيشها جعلتني أجمّد كل نشاطاتي الفكرية»[1].

فالدخول الأول للبطل أرجعه إلى ذاكرة الماضي القاسية التي كانت ولا تزال البطالة هي السبب في ألمه، هذا المكان هنا أضاف نوعاً من الجمود الفكري لدى الشخصية.

السارد لا يريد أن يحدثنا عن النادي الأدبي كحضور مكاني شامل، بل أراد الاشتغال في الرواية عل حيّز فقط لهذا المكان وهو القاعة، «القاعة شبه فارغة أين اختفى المهتمون بالفكر والأدب؟»[2]، يظهر البطل حيرة وغرابة لقلة الحضور في القاعة وإصابته بذهول لرغبة الحاضرين في الزحف باتجاه المنابر الأدبية « ومنذ متى

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 206.
[2] المصدر نفسه، ص 106.

كانت الجماهير تزحف نحو المنابر الأدبية؟»[1]، لقد أصبح الناس منشغلين ومهتمين بالماديات ونفس الشخصيات المعتادة رؤيتها متواجدة هنا.

لا يعرف البطل السّر في التحمس لهذا المبدع الجديد ،"صابرين" بالفعل تستحق اسم شاعرة أو مجرد مبالغة وتفخيم لخدمة مصالحهم وقضائها ،ويخبرنا السّارد بتواجد شخصية "عاشور" وهو شاعر ،تتمتع شخصيته في الولوع بالنساء ،والتي أدخلت الشكّ لدى البطل «اطمئن يا صالح ،ليس له علاقة بالموضوع أنا الذي برمجتها لا أعرفها شخصيا ولكنني قرأت بعض كتاباتها... أرجو أن لا تحكم عليها قبل الاستماع لمختاراتها الشعرية هذه الأمسية»[2]،بدأ البعض يتوافد على المكان من الشخصيات غير المعروفة يبدو أن النادي الأدبي مفتوح أمام المبدعين من فئة الشباب، "صابرين" تدخل القاعة بكل ملامحها وصفاتها التي تحمل دلالة الجمال.

في هذا الوقت يتم إلقاء بطاقة تعريفية حول الشاعرة وبعدها بدأت تستميل الحضور بكتاباتها، بعدما أطلعتهم على قصائدها الشعرية التي هزّت المكان «اهتزت القاعة بالتصفيق، قد يتخيّل المستمع بأنه الحبيب المقصود، وبدت كقائد المعركة الذي يصول ويجول في الميدان، بمجرد فتح باب التعليقات للجمهور حتى تهاطلت المجاملات من كل حدب وصوب...»[3]،طبع المكان دلالة الترفيه على الشخصيات الحاضرة وخاصة البطل "صالح" لأن هذه الأمسية عادت إلى زمن كتاباته وولوعه بالإبداعات الأدبية ومحت الهموم والمشاكل التي عمّت الأماكن السابقة.

"صابرين" تريد التجاوب مع "صالح" وكأنها تبحث عن آرائه حول ما قدمته يقول السارد:

«أستاذ صالح لحظة من فضلك.

---

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ ، ص 107.

[2] المصدر نفسه، ص107.

[3] المصدر نفسه، ص 109.

مرحباً أنا في خدمتك .

لقد سمعت عنك الكثير وقرأت معظم أعمالك التي كنت تنشرها في بعض الجرائد الوطنية

هذا لطف منك أن تقرئي لكاتب مغمور مثلي.

ياسيد صالح كفاك تواضعاً إن القصص التي كنت تنشرها كانت تنتقل من غرفة إلى أخرى في الحي الجامعي»[1]، هنا حمل المكان دلالات متعددة غيّرت نظرة البطل فطغت دلالة الفرح والسعادة على الشخصية التي حملتها الأجواء داخل القاعة.

مقهى الأنترنت:

هو عبارة عن مكان يشبه المقهى يحتوي على عدد من الكومبيوترات، ويعتبر هذا المكان بمثابة موسوعة علمية غنية بالمعلومات ،ووسيلة اتصال وتفاعل بين جميع فئات المجتمعات، لأنها متاحة للجميع ،ومقاهي الأنترنت يتوافر فيها الدخول إليها لتبادل المعلومات وانجاز الأعمال عن طريق خدماته في المقاهي وغيرها من الخدمات.

لقد حمل هذا المكان حيِّزاً من شخصيّة البطل "صالح" فعده هدفا له لتحقيق حلمه، خاصة وأن مقهى الأنترنت هو مكان عمل جاره "إسماعيل"، فأراد زيارته والتطلع على هذا العالم الذي ربما سيحمل له مفاجآت عديدة يقول السارد:

«أهلا صالح وأخيرا ظهرت كيف أحوالك يا رجل؟

بخير صدقني كنت أنوي زيارتك منذ أيام ولكن ظروفي لم تسمح

أنا أعرف أنك تجلس أحيانا في المقهى ولما لا تغير الاتجاه وتأتي هنا.

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادىء، ص، 112-113.

المقهى ليس هدفا في حد ذاته، بل هو بالنسبة لي مركز لتبادل المعلومات حول فرص العمل»[1].

ظل "صالح" يبحر في عالم الأنترنت فوجد نفسه بين كتابات المبدعين وزاد فرحه لأنه وجد فضاء لنشر كتاباته.

إن كثرة الأمكنة زادت من حماسية البطل في التجائه إليها ودخولها، خاصة وأن البطالة زادت من أوقات فراغه، فلعل مقهى الأنترنت هو فضائه الذي سيجد ضالته فيه، بعدما وضع كل إبداعاته وكتاباته لينشرها في موقع التواصل الاجتماعي عله يستقبل ردودا تبعث فيه الثقة والحماس لمواصلة إبداعاته يقول: «بدأت بتصفح موقع القصة العربية الذي أثارت انتباهي منذ البداية ،يشرف عليها كاتب سعودي مميز أخدت أقرأ بنهم الرسائل الواردة عبر البريد الإلكتروني أغلبها من طرف كتاب عرب استدعت انتباهي رسالة مميزة من شركة بترولية بالإمارات العربية المتحدة»[2]،لم يصدق "صالح" ما رآه وفوجئ بهذا الخبر الذي هز كيانه فأسرع بالنهوض متجها نحو "إسماعيل". يقول السارد:

«إسماعيل لن تصدق ما سأقوله لك؟

ما بك كنت بخير منذ دقائق

لقد وجدت منصب عمل لدى شركة بترولية بالخليج العربي...

حافظ على هدوئك يا رجل قد تفتح بريدك وتجد من يقترح إعطاءك مليار دولار أنت جديد في الميدان ،عالم الأنترنت فيه الكثير من الأكاذيب والخدع...»[3]، يبدو أن كلام "اسماعيل" جعل من المكان وكأنه ضيق على طموحات البطل وجسد في مخيلته شبح البطالة الذي لازال يطارده منذ سنوات عديدة.

أخد "إسماعيل" يتصفح المواقع للعثور على هذه الشركة ،ووقف "صالح بقربه متأملا الحصول على القليل من السعادة التي لم يعثر عليها إلى حد الساعة ،وبعد العثور عليها والتأكد من وجودها استرجع البطل

---

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 10.

[2] المصدر نفسه، ص 189.

[3] المصدر نفسه، ص 190.

أنفاسه يقول:

«إنك محظوظ يا صديقي ،الشركة موجودة فعلا لاشك في ذلك.

هذا يعني أنني سأبدأ العمل قريبا.

لا تسرع يتعين عليك مراسلتهم من جديد وإرسال الوثائق المطلوبة وزيارة بريدك الالكتروني دوريا»[1]

،أصبحت السعادة من نصيب البطل "صالح" الذي لم يكن يتوقع أن زيارته المفاجأة إلى "إسماعيل" قد تنقله إلى عوالم الفرح ،وكأن مقهى الأنترنت فتحت المجال أمامه وأخرجته من الأوهام والأوجاع التي غمرته من قبل ليصل به إلى عالم الحقيقة ،ومن ثمة فالمكان في الرواية يتجلى من خلال الدلالات التي يحملها هذا المكان والمتمثلة في السعادة والفرح.

المطلب الرابع :تجليات ودلالة المسجد ومكتب البريد.

المسجد:

تجسدت بعض الأمكنة المغلقة في رواية "الاعصار الهادئ"، لكن حضورها كان ناذرا، وظّفها الراوي لتدعيم الخطاب الروائي.

المسجد هو مكان للعبادة والسكينة والمغفرة،« فضاء يساهم في بناء الرواية ويشكل إلى جانب الأماكن الأخرى بناء المكان العام للخطاب، يفتح على الناس كمكان للعبادة يتجمعون فيه لأداء الفريضة والتزود»[(2)]،المسجد هو الحاضن للناس ففيه يفصح المرء عن خطاياه ،وهذا المكان داعم لدلالات الأمكنة الأخرى، تشير الرواية إلى هذه الرقعة المقدسة التي تحمل شكلاً هندسيًّا يجعله مختلفا عن باقي الأبنية، إذ يحتوي المسجد على المنبر الذي يقف عليه الإمام لإلقاء خطبته على المصلين «ذات يوم وقف الإمام على المنبر وبدأ بما

(1) بوبفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 192.

(2) الشريف جبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص 234.

تعود المصّلون على سماعه كمقدمة لأية خطبة جمعة وكان من المتوقع أن يتحدث عن ضرورة الإحسان لعابري السبيل أو صلة الرحم...»[1]، تحمل شخصية الإمام دلالة التديّن والالتزام بالأخلاق، ودعوة الناس بالمواعظ الحسنة ومساندة المحتاجين، فالمسجد هنا مكان للراحة وتطهير النفس والتقرب إلى الله.

كما أن لهذا المكان دلالات أخرى تتمثل في النّصح وتجنب الفواحش، بالرغم من أن الحكومة تمنع استعمال مثل هذه الأماكن للحديث عن أغراض سياسية إلا أن شخصية الإمام واصلت تتابع الأحداث وسيرورتها بداخل المسجد «كانت خطبة نارية تتحدث عن ظاهرة الدعارة التي تفاقمت في الحي القديم وضرورة الوقوف أمام هذا المنكر العظيم»[2]، يعبّر المكان هنا عن الأحداث المتكررة التي تسود الأحياء والطرقات من أعمال تعكس تعاليم الدّين الإسلامي ،ولهذا يبرز المسجد في الرواية عن طريق الخطب التي يلقيها الإمام والتي يشارك في تلقيها المصلّون.

ويعبّر السارد في موضع آخر عن قيمة الشخصيّة المتديّنة والدور الذي تلعبه في المكان، فتأدية الإمام للخطبة حرّكت نشاط الشخصيّات الأخرى المتواجدة وجعلتها تتفاعل مع الأحداث التي جُمعت في المسجد«...وما إن أتم الإمام الصلاة حتى تهاطل عليه المؤيدون لمسعاه»[3]، فهذه الوظيفة التي نهض بها المسجد في رواية "الإعصار الهادئ" جعلت من المكان مصدر قوة وطمأنينة وتعبير عن السلوك النّزيه الذي تؤديه الشخصيات، مما جعلها في تجاوب مستمر مع الأجواء الصافية التي تعمّ وتطغى على هذا المكان.

مكتب البريد

هو مكان يتم التعامل فيه مع المواد البريدية ،وفيه تباع طوابع البريد وغيرها ،كما تقدم فيه الخدمات البريدية المختلفة، وتعد الاتصالات السلكية واللاسلكية جزء من الخدمات التي يقدمها المكتب في بعض البلاد.

---

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، 101.

[2] المصدر نفسه، ص 101.

[3] المصدر نفسه، ص 102.

يتبع السارد تحرك الشخصية البطلة داخل العمل الروائي وجريان الأحداث وتنوعها من مكان إلى آخر ،لأن هذا المكان يحمل دلالة إيجابية ،يقصد البطل مكتب البريد ويسارع الخطى وهو يفكر فيما تخبأه الرسالة من أخبار يقول :«ما إن دخلت حتى استقبلني جاري الذي يعمل بالمكان بابتسامة عريضة»[1]، ثم يعود ويواصل سرده لحركة الشخصية ويضيف على المكان شخصية جار البطل "عبد العليم".

«مرحبا صالح لم نراك منذ مدة طويلة هنا...

تحياتي "عبد العليم" أظن أنه لدي رسالة مسجلة....طبعا لديك هي رسالة مميزة إنها من سفارة الإمارات العربية المتحدة»[2]،ينتقل البطل من البيت إلى المبنى الإداري مرورا بالمبنى الأمني ثم النادي الأدبي ليصل إلى مكتب البريد وكأن التنوع والتعدد في الأمكنة ساهم في بروز شخصيته بقوة وزاد من علاقتها بالمكان الذي تتواجد فيه، لم يتمالك "صالح" نفسه فتدخل السفارة في مثل هذا الموضوع دليل على أن الأمر قد أخد منحى جديدا «تفضل إنه ظرف مميز يدل على أن محتوياته ثمينة جدا»[3]، هنا طغت دلالة السعادة على الشخصية.

وخلاصة قولنا إن الروائي أراد أن يبرز قوى الأماكن المغلقة في تسارع الأحداث وحركية الشخصيّات داخل البناء الروائي ،والتي سيرت مجرى الأحداث وتسلسلها وربط الشخصيّة بالمكان المتواجدة فيه زاد من القيمة الفنيّة للرواية وأعطاها بعدا جماليّا يكمن في التنوع والمزيج بين الأمكنة.

المبحث الثاني: المكان المفتوح تجلياته ودلالاته في رواية "الإعصار الهادئ"

المطلب الأول : تجليات ودلالة تقرت.

" تقرت " هي الإطار المكاني الذي اختاره " بوفاتح سبقاق " فضاء لأحداث روايته " الإعصار الهادئ "،

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 262.
[2] المصدر نفسه، ص 262.
[3] المصدر نفسه، ص 263.

ومن المتعارف عليه « أن المدينة فضاء مفتوح تتحرك فيها الشخصيّات بكامل حريتها »[1]، وهذه الشخصيات تساهم في إبراز معالم هذه المدينة وخباياها.

لم يكن اهتمام الراوي بإبراز المظاهر العمرانية والسكنية لهذه المدينة أكثر من اهتمامه بما يجري فيها من مشاكل الشباب وظروف المعيشة وهموم المثقف... وكيف أن المكان تحول من مجرد شكل هندسي جغرافي إلى بناء فني يحمل رؤى فكرية وإيديولوجية، ومدينة تحمل صورًا مأساوية انقلبت ألمًا رسمت معاناتها الرواية، فنقلت لنا تفاصيل الواقع بحذافيره.

إن صورة الصحراء الراسخة لدينا هي: « وجه القساوة والقحط والعطش، التعب... التعامل مع الطبيعة القاسية الصلبة بفوضى كثبانها»[2]؛ ومن هذه الأماكن القاحلة والقاسية يستمد الإنسان الصحراوي قوته وصلابته، فالصحراء « عالم اللاواقع عالم أسطوري روحي، يؤمن بالأصل والأساس لمنبع الإنسان وتجذُّره في الأصالة والتمسك بها»[3]،وهذا ما يبين علامات التميز والتفرد الذي يتصف بها الفرد الصحراوي عن غيره.

والحديث عن الصحراء حديث عن شخصية ساكنها، وقد تمثلت الشخصية في الرواية بكل ما تحتويه الإنسانية من مشاعر الحبّ والقوة والخوف والإقدام والتضحية والعرفان بالجميل والامتنان.

تحضر مدينة " تقرت" في رواية " الإعصار الهادئ " من خلال العنوان فهي حسب الكاتب مدينة صحراوية هادئة تخفي إعصارًا هادئاً يحوي مشاكل الشباب وخاصة البطالة وهموم المثقف وظروف المعيشة الصعبة، يقول الروائي " بوفاتح سبقاق " على لسان بطله: « لا جديد يذكر بالمدينة، الجراد يملأ الأمكنة وأصبح لعبة الأطفال اليومية، كنت أسمع عن تواجده في حدودنا الجنوبية واليوم يمارس طقوسه أمام ناظري كل صباح...اليوم عيد

---

[1] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص 275.

[2] وليد عثماني، شعرية الفضاء وغواية الصحراء في الرواية الجزائرية، رواية سأهديك غزالة لمالك حداد أنموذجا، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، العدد10، 2014، ص 248.

[3] المرجع نفسه، ص 248.

ميلادي، لا حدث بالنسبة لـــي، قفزة إضافية في المجهول أو خطوة نحو غدٍ أتعس »[1]؛ يجب أن نلاحظ هنا أن على هامش العولمة يلعب الأطفال بالجراد، وأنهم قد وجدوا إضافة على ذلك متفرجًا متفرغًا حاصلاً على شهادة الليسانس وعلى دفتر الخدمة الوطنية أيضا، ثمة شيئان على الأقل زائدان على اللزوم.

في هذه اللوحة بلدة صحراوية زائدة على العولمة وشاب حيوي مثقف زائد على البلدة، وعليه أن يقتنع أنه زائد على الوجود كله.

يقول السارد: «تقرت خلال فصل الصيف تتحول إلى قدر يغلي طوال الوقت، ليس هناك مسابيح تذكر ولا أنشطة ترفيهية، إبتداءًا من العاشرة صباحاً تقل الحركة ثم تنعدم إلى غاية المساء ولا يخرج أحد إلا المضطر أو الأشخاص الذين يقصدونها من القرى المجاورة، إنه حضر التجوال الذي تفرضه الطبيعة على العباد »[2]؛ في هذا المشهد كما في الذي سيليه، تحيلنا القرائن الطبوغرافية المستخلصة من فضاء المدينة العام على قساوة الطبيعة "فتقرت" « في شهر جويلية لا تطاق، عدم امتلاك جهاز تكييف يعني الجحيم، سعداء الحظ يرحلون إلى المدن السياحية »[3]؛ يوجد في هذين النصين الأعلى والأدنى، من القرائن والتفاصيل الهندسية ما يثبت قساوة الصحراء والطبيعة الصلبة، تقف هذه المدينة مكانا إطاريًا عاماً، يبسط أمامنا حياة الإنسان الصحراوي؛ فالصحراء في بلادنا تعتبر مناخا قاسيا جدا، فتبدوا " تقرت " مكاناً موحّشًا، مفرّغاً من أهله، قليلة الحركة في النهار.

وبالرغم من ذلك يتميز أهلها بالطيبة والكرم، كما جاء على لسان " توفيق": « أنت تعرف أهل الصحراء طيبين جدا »[4]،وهذه الصفة مازالت موجودة، زيادة على أن المناطق الصحراوية تتميز بالبساطة مما

---

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 3.

[2] المصدر نفسه، ص 88.

[3] المصدر نفسه، ص 25.

[4] المصدر نفسه، ص 35.

يجعل معيشة أهلها في حدود عادية، فهي قليلة السكان والعمران ونشاطها الاقتصادي محدود، وكل هذه المؤشرات ساهمت كثيرًا في طريقة الكتابة لدى الروائي من حيث الموضوع والشخصيّات وتسلسل الأحداث.

رواية " الإعصار الهادئ " تدور أحداثها في مدينة " تقرت " وكل الشخصيّات تتحرك ضمن فضاء صحراوي ونسق اجتماعي وفكري جنوبي، وعليه فإن العلاقات بين الشخصيات ترتكز على مكونات المجتمع المحلي الصحراوي، وفي هذه الرواية حاول الكاتب أن يضفي على تلك الصورة النمطية الجاهزة حول الصحراء وأهل الجنوب التي تجعل الصحراوي هو ذلك المواطن الطيب إلى حد السذاجة « أنتم في الشمال تتصورون أن شباب الجنوب لا يعانون البطالة ولكن الحقيقة أننا غرباء في ديارنا، التوظيفات من العاصمة ونحن مجرد قوائم اسمية شكلية لإجراء اختبارات مظهرية فقط ثم يأتي أصحاب الحظ ليعملوا ونحن ننتظر دوما استدعاءنا »[1]؛ فهي تحكي معاناة المثقف عندما تُصدّ في وجهه كل الأبواب التي يطرقها، تتنكر له الأماكن والأشخاص، وحدها البطالة تتكفل به، يجول كل شوارع مدينته الباهتة الملامح التي ترقص على أوتار الروتين القاتل، في رحلته تلك تواجهه مشاكل عويصة فتعكس على نفسيته وتجعله عالة على أسرته وعلى نفسه بالدرجة الأولى، في وطن تنهشه مخالب السلطة وذوو النفوذ أولئك الخونة الذين سخروا أموال الوطن لخدمة أغراضهم الشخصية .

كما عرض لنا الروائي " تقرت " في عهد الاستعمار فقال: « خلال حرب التحرير كانت تقرت مركزاً متقدّمًا للقوات الفرنسية و لم تكن هناك مقاومة تذكر عدا تلك المعارك الصغيرة التي كانت تحدث من حين لآخر »[2]، وهذا دليل على طيبة وهدوء أصحاب المنطقة، والصحراء تحمل رمز الوطن الكبير، حيث تغدوا الكلمة رمزاً في سياق النص موحية بمعانٍ كثيرة كالحرية والاتساع والطلاقة والانطلاق، تلك المعاني التي

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ ، ص 27.
[2] المصدر نفسه، ص 38.

نستخلصها من طبيعة الكلمة ذاتها.

إن الوطن هو المكان الذي يحلم فيه الإنسان بعالم من العيش الرغيد والحرية والحب والثورة والعلم، ويرفض فيه الحدود والتجزئة والخوف والتسلط والظلم والاستعمار، وهو في المحصلة منبع الجمال ومبعث الفرح.

ويسترجع " بوفاتح سبقاق" في روايته سنوات الإرهاق وما عانته الجزائر من ويلاته، إلا أن تقرت « لم تشهد أي أعمال إرهابية تذكر، فتضاريسها البشرية والجغرافية لم تكن تسمح بظهور أي جبهة رفض، فسكانها طيبون جدا ويؤيدون جدا كل الحكومات السابقة والحالية والمزمع إنشائها، وأرضها صحراء قاحلة ومكشوفة موالية دومًا للسلطات، حتى أشجار النخيل الباسقة تعكس الشموخ ولكنها محايدة ولا تخفي أحدا»[1]؛ أي أن تلك القساوة المناخية والطبيعة الصلبة كانت بمثابة عازل للجماعات الإرهابية، بالإضافة إلى طيبة سكانها الذين يؤيدون مختلف الحكومات، والكاتب من خلال حديثه عن هذه القضية فإنه يحاول استرجاع ذاكرة المجتمع الجزائري، والإبانة عن تلك الفترة السوداء في تاريخ الجزائري وما خلفته من أثر في النفوس، حيث « كانت تقرت في تلك السنوات الدموية تستقبل أسبوعيا توابيت مجنديها الذين يعملون في مكافحة الإرهاب ضمن قوات الجيش بالمدن الشمالية »[2]،وهذه التفاصيل الدقيقة في تفاعلها مع بقية العناصر الروائية ، أسهمت إلى حدٍّ كبير في تقديم صورة" تقرت" في مرحلة معينة من تاريخها.

وفي الوقت الحالي مدينة " تقرت "« تغيرت كثيراً وأصبحت قطبًا عمرانيًّا واقتصاديًّا كبيرًا »[3]، بعد أن فقدت كثيرًا من« معالمها القديمة والمميزة، كانت غابة المرابطين فضاء للعب الطفولي ومكانًا للمغامرات والشقاوة واليوم أضحت مهجورة وثم اكتساحها من طرف المباني؛ وأشجار النخيل تعاني الجفاف ولكنها تموت في شموخ في زمن الرداءة الشاملة ، ساحة اللعب مازالت على حالها ولكن الاخضرار لم يعد له أثر،

[1] بوفاتح سبقاق، الاعصار الهادئ، ص 37.
[2] المصدر نفسه، ص37.
[3] المصدر نفسه، ص39.

والأحياء القديمة أضحت مسرحا لبائعات الهوى »[1]؛ فالإحساس بفجيعة التغير يعبر عنه " بوفاتح سقاق " في صورة مؤلمة، إذ لم يقتصر التغير على شكل المدينة وطراز بنائها، فإن البشر خلال هذه الفترة تغيروا إلى درجة لم يعد من السهل فهمهم أو التعامل معهم .

والذين شيدوا هذا الفضاء السيّئ ليسوا من سكان " تقرت " الأصليين بل هم من الأغراب الوافدين إليها، مثلما جاء في قوله : « بعض سكان الحي القديم كانوا يؤجرون مساكنهم لأية وافدة جديدة من أجل الحصول على قليل من النقود الوسخة، لم يعد هناك أي وازغ ديني، وأضحت المادة هي المحرك الأساسي لهؤلاء الفقراء والمنحرفين »[2]؛ ومن الواضح أن المدينة فقدت معالم تميزها السابقة وشخصيتها ونكهتها الخاصة، وبالتالي تحولت من مدينة يشعر فيها الإنسان بالألفة والراحة والهناء، إلى مدينة فقدت معالمها وتحولت إلى مدينة موحشة وقبيحة بسبب تفشي العادات السيئة، وهذا ما يولد إحساس بالخوف والرعب .

وهذا التغير الحاصل يدفعنا إلى التساؤل ماذا يفعلون بالمباني والمؤسسات إذا أصبحوا عاجزين على توفير الاستقرار والهدوء والطمأنينة داخل هذه المدينة، فهذا التغير لم يؤثر في " تقرت " فحسب، بل أثر كذلك في البشر وسلوكهم، لقد فقدوا كل صلة بما كانوا عليه.

لقد اختار "بوفاتح سبقاق" بطلًا مميّزًا، يعرف جيّداً " تقرت" وخباياها فالرواية تنقل تفاصيل الواقع بحذافيره في قالب فني أدبي أكسبها حلة جميلة، نتابع من خلالها مسار حياة المثقف " صالح " الذي أرهقته رحلة البحث عن وظيفة في هذه المدينة يقول : « الشمس تشرق من جديد، يوم آخر يضاف إلى حياتي ويكرس واقعاً رديئًا، رجل في مقتبل العمر مازال يترنح تحت ضربات الزمن بدون عمل ومستقبله مجهول والأزمات تتساقط عليه من

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ ، ص100.
[2] المصدر نفسه، ص 100.

كل الجهات »[1]،فالحصول على وظيفة تحفظ ماء وجهه وكرامته، تنتشله من شبح البطالة الذي ظل هاجسًا يطارده آناء الليل وأطراف النهار، يقول : « لا أدري سر القوة اليومية التي مازالت تدفع جسمي إلى النهوض »[2]؛ إذ نجده حائرًا وتائهًا مسلوب الإرادة لا يعي ما يصنعه يتخبط وسط مشاكله.

والقارئ للرواية يكتشف أن الكاتب يعالج أزمة المثقف العربي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، ولا ريب في ذلك فالمثقف العربي يعاني في كل شبر من هذه الأرض، يضطهد ويهمش، " فصالح " في الرواية نموذج مصغر للمثقف، رأيناه سلبيًّا إذا ما صنفنا المثقفين إلى سلبيين وإيجابيين، فهو يخشى كل شيء ويشك في كل شيء بائس حزين، همه الوحيد وظيفة تأتيه بأي طريقة .

قد برع الكاتب في تصنيف هذا النوع من المثقفين ، والذي يبرر سلبيته بأسباب كثيرة نذكر من بينها: الإرهاب والفقر والبطالة، وحدهم الفقراء والمواطنون والمثقفون تنفد عليه القوانين، يراقبون ويضعون تحت المجهر« القوانين لدينا موضوعة لمراقبة المواطنين وان تكون مثقّفاً فإن الأمر يعتبر تهديدًا لمصالح بعض الفئات، أنت تعرف بأن من يفكر بإمكانه أن يؤثر ومن ثم توجيه الرأي العام ومن يحرك الشعب بإمكانه قلب النظام »[3]؛إن هدف الكاتب من خلال ما سبق هو إبراز مدى تأثير القوانين والأنظمة السياسية التي تفرضها مدينة " تقرت " على المثقف لأنها تخافه من ناحية، فهو مفكر لذلك هي تعمل على كبح طاقاته .

ينتقل بنا الروائي في طيات هذه الرواية من فكرة إلى فكرة ، الواحدة تلوى الأخرى، وهذه المرة يكشف لنا مكانة الجنوب عموما ومدينة " تقرت " على وجه التحديد في وسائل الإعلام ،« نشرة الثامنة كانت تتحدث عن كل مدن البلاد والقلاقل التي تسودها، وتقرت لا تذكر سوى في نشرة الأحوال الجوية بزوابعها

[1] بوفاتح سبقاق ،الإعصار الهادئ، ص 150.
[2] المصدر نفسه، ص 150.
[3] المصدر نفسه، ص 172.

الرملية وحرارتها المرتفعة »[1]، وهذا ما يبرز التهميش الذي تحظى به هذه المدينة مقارنة بالمناطق الشمالية، فهي حسب قول الراوي لا تذكر إلا في مواضعٍ قليلة بزيارة أحد المسؤولين أو الحكوميين.

ويقول في موضع آخر : « حملة تنظيف كبيرة تشهدها تقرت هذه الأيام، يتكلمون عن زيارة مرتقبة لرئيس الجمهورية، كل السلطات في حالة في حالة استنفار قصوى من أجل ضمان أحسن استقبال لزعيم البلاد، وعلقت لافتات للترحيب بفخامة »[2]، فهذه المدينة بالرغم من طبيعتها الخلابة وواحاتها الجميلة وتهافت الزوار الأجانب عليها فهم « يطلقون عليها سويسرا الجزائر نظرًا لهدوئها التام »[3]؛ إلا أنها ظلت تعاني التهميش من قبل السلطات ، شأنها شأن باقي المناطق الصحراوية.

ومن ناحية أخرى يبين لنا الأوضاع السياسية والاقتصادية التي تشهدها مدينة " تقرت" بصورة عامة كما جاء على لسانه : « هذه الأيام تسود المدينة الكثير من الإشاعات التي تتحدث عن مسيرة سيقوم بها العاطلون عن العمل للمطالبة بالحصول على وظائف بمنطقة حاسي مسعود النفطية، ومنذ أيام تم قطع الطريق الوطني من طرف بعض المواطنين للمطالبة بالسكن »[4]؛ أصبحت المدينة مكاناً للأحداث وموضوعًا خاصة مع تنامي الأوضاع الاقتصاديَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة ، كانت سبب الكثير من المظاهر النفسية التي استغلها الراوي في تشكيل المدينة ضمن إطار الرواية .

ومن ناحية أخرى أصبحت المدينة ملتقى للعاطلين عن العمل من أجل المطالبة بحقوقهم للظفر بوظيفة والتي أصبحت هاجساً بالنسبة لهم، وتحولت تقرت إلى:« فضاء واسع لممارسة كل أنواع الاحتجاج، شباب بلدة مجاورة يقطعون الطريق الوطني من أجل طلب تدخل السلطات المحلية، التي تناست مشاكلهم وهمومهم

---

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 41، 42.

[2] المصدر نفسه، ص 162.

[3] المصدر نفسه، ص 167.

[4] المصدر نفسه، ص 207.

وفي نفس الوقت قام شبان آخرون بحرق بعض المرافق العمومية »[1] وهنا ينفجر ذلك الصمت الذي كان يخيم على " تقرت "، وهذا الصمت الرهيب تحول إلى احتجاجات ضد السلطات الوطنية من أجل الالتفات إلى حقوق المواطنين؛ حيث نرى " تقرت" وهي مكان جغرافي قد اكتست أبعادًا نفسيَّة واجتماعيَّة، غيّب فيها الكاتب الشكل الفيزيائي للمدينة وراح يصوّر مصير الشخصيّات وما تعانيه من مشاكل وهموم.

وبعد فترة وجيزة من ذلك الإعصار الذي أحدثه بعض الشبان « هدأت عاصفة تقرت بعد أيام، وعادت الأمور إلى سابق عهدها »[2]؛ وكأن كل مشاكلهم توقفت وحلت كل انشغالاتهم ، ولكن الأمر ليس كذلك.

فالمثقف " صالح " لا زال ينتقل من مبنى إداري إلى آخر، لعلّه يظفر بوظيفة تحفظ له ماء الوجه ويبرز ذاته من خلالها، لكن دون جدوى.

ليختم الكاتب مأساة المثقف وأزمة البطالة في هذه المدينة، من خلال هجرته خارج الوطن، هي فرصة عمل فتحتها أمامه إحدى الشركات الخليجية التي راسلها من خلال شبكة الإنترنت، هذا العالم الذي اكتشفه مثقفا بواسطة أحد أصدقائه، ها هو يفتح له آفاقاً واسعة نحو عالم الأحلام، إذ نجده يفر من وطن خذله وخيب أمانيه.

وبمجرد قراءة الرواية ندرك أن الروائي" بوفاتح سبقاق " لا يقصد بمدينة" تقرت" مجرد إطار مكاني للأحداث والمساحة التي تنتقل فيها الشخصيّات، وإنما الواقع الاجتماعي والسياسي، تحمل مجموعة من الدلالات والخلافات التي تعيشها "تقرت"، هذا الواقع تنتج عنه حياة مضطربة ومتقلبة.

وفق الكاتب إلى حدٍّ بعيد في جعلنا نكتشف " تقرت " أزقتها وخباياها ، فهي حسب الكاتب مدينة

[1] بوفاتح سبقاق ، الإعصار الهادئ، ص 212.

[2] المصدر نفسه، ص 229.

صحراوية هادئة، تخفي إعصارًا هادئاً يحوي مشاكل الشباب وخاصة البطالة؛ وهموم المثقف وظروف المعيشة الصعبة، الحرارة، البعد عن عاصمة البلاد، كما تعرض إلى "تقرت" في عهد الاستعمار، وكذلك ما عانته المدينة سنوات الإرهاب.

فالروائي " بوفاتح سبقاق " نشأ في بيئة صحراوية ، كانت مكان روايته الإعصار الهادئ، وبالفعل كان للبيئة الصحراوية تأثير كبير في كتابته لهذا العمل الروائي.

إذ حاول الكاتب من خلال روايته أن يلغي تلك الصورة النمطية السياحية عن أهل الجنوب، تلك الصورة المتداولة في وسائل الإعلام، وبيّن لنا عكس ما كنا نظن نحن أصحاب الشمال.

المطلب الثاني : تجليات ودلالة الشارع.

يعدّ الشارع جزءاً لا يتجزأ من المدينة، وأحد العلامات المكانية البارزة فيها، تنفتح عليه الأبواب، وتتحرك من خلاله الشخصيات، وهو أكثر من جغرافيا مكانية و « الشوارع أماكن مفتوحة، تشمل كل فئات المجتمع، وتمنحهم كامل الحرية في التنقل وسعة الإطلاع والتبادل، وهي لا تقوم على تحديدات ولا حدود ثابتة مما يصعب على الكاتب عملية الإمساك بها»[1]؛ إذ يعد من الأماكن المفتوحة التي تشهد تنقلات وتحركات الأشخاص وانتقالها من أماكن عملها ومقر سكناها.

ويرى الباحث ياسين النصير" أن الشارع هو :« صحراء المدينة وجزئها الزمني وحياتها الذائبة والمتحركة ولولب بعدها الحضاري »[2]؛ ويعد « أماكن انتقال ومرور نموذجية فهي التي تشهد حركة الشخصيات، وتشكل مسرحاً لغدوها ورواحها عندما تغادر مكان إقامتها أو عملها»[3]؛ وبناءً على هذا فالشوارع تمثل

---

[1] ياسين النصير، الرواية والمكان، ص ، 14-15.

[2] المرجع نفسه، ص 10.

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 79.

بالنسبة للشخصيّات أماكن مرور وسرعة توقف وانطلاق من جديد.

ومن هذا المنطلق يعتبر الشارع مكان انتقال ومرور، وهو الذي يشهد حركة الشخصيّات، وهو فضاء أهل بكل شيء لما يمنحه من إمكانية النظر ورؤية لما خلفه وما حوله.

ويحتل الشارع في الرواية العربية عموماً والجزائرية على وجه الخصوص مكانة بارزة باعتباره مساراً وشريانًا للمدينة، ويخص الشارع في " رواية الإعصار الهادئ " باهتمام الكاتب فقد جعل منه عتبة من عتبات الرواية.

ورد الحديث عن شوارع المدينة في رواية " الإعصار الهادئ" في بعض المقاطع السرديّة من بينها موقف الحافلات أو المحطة التي تعد من الأمكنة العمومية التي يتوافد عليها المسافرون من مختلف الطبقات الاجتماعيّة، قد يكون ملتقى لمختلف الثقافات والاتجاهات حسب القدرات التي يمتلكها كل فرد، وقد تكون هذه المحطة مكاناً ينطلق من خلاله البطل أو شخصية ما في أي عمل روائي لتحقيق حلم من أحلامه كالسفر أو العمل مثلا.

وهذا المكان لم يأت عبثاً في الرواية ، حيث غيّر مجرى أحداث كثيرة ، ويعد أول مكان مرجعي يصادفنا في رواية " الإعصار الهادئ " يقول البطل متحدثاً عن سهام : « صالح الجار الخجول الذي تراه منذ سنوات، كل المؤشرات تدل على أنه سيقع مغمض العينين، ولكنه لن يفكر فيها مادام مشغولًا بالبحث عن الوظيفة، المعادلة ليست صعبة إذا وجدت له عملاً سيتزوجها، هكذا حدثت سهام نفسها وهي تنتظر الحافلة، سيارات كثيرة توقفت أمامها تدعوها للركوب ولكنها رفضت »[1]؛ هذا الرفض لا لشيء إلى أنها تريد أن تحافظ قليلاً على ما تبقى لها من عفتها لزوجها الذي لم يظهر بعد.

ويذكر البطل في موضع آخر وهو يتحدث عن " سهام ": « كل الأعين موجهة نحوها بدت وكأنها حافلة للنهم الجنسي، الكل يرغب في التقرب منها أو ملامستها وهي تسعى جاهدة لإيجاد مكان بأقل الأضرار،

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ ، ص 31.

اللمس الخفيف لم يعد يزعجها، وجسمها أضحى ذا طابع احترافي و لم يعد يكترث بالهواة، وأخيراً وجدت ضالتها عند شيخ طاعن في السن رمت بجسمها عليها محتمية به من الشباب المتعطش في حين بدا العجوز سعيدًا بهدية الأقدار والتصق بها أكثر، من عينيه ترسلان برسائل مشفّرة نحو الشباب المترقب مفادها أنه مزال لاعبا محترفا وفي هذه اللحظات كانت سهام تنظر من النافدة وتبتسم نحو كرسي الاحتياط، أما القابض فكان بمثابة الحكم الذي فقد سيطرته على المباراة »[1]؛ نجد موقف الحافلات في رواية "الإعصار الهادئ " تخرج عن الوظيفة المنوطة بها والمتمثلة في نقل المسافرين من مكان إلى آخر، إلى دلالة صريحة على العشق المتولد من هذه الأمكنة، وما يثيره هذا المكان من ذكرى وطقوس المعاكسة والمتعة.

أما الشارع فيحظى في رواية " الإعصار الهادئ " باهتمام الروائي فقد جعل منه عتبة من عتبات الرواية، وتحدث الروائي عن شارع الكويت المتواجد في مدينة " تقرت " الذي كانت تقصده " سكينة " " زوجة " مراد " لاقتناء المجوهرات، يقول السّارد على لسان " مراد" وهو يتحدث إلى زوجته:

« أي محل نتوجه إليه ؟

- مجوهرات واحات، شارع الكويت هل نسبته؟

- أعرفه قلت ربما تكونين قد غيرت المحل »[2]

يعتبر هذا الشارع مسرحاً يعرض من خلاله الروائي خيانة " سكينة " لزوجها " مراد " فانتقاما منه تخونه عن قناعة تامة مع ابن صاحب محل المجوهرات الذي يصغرها بكثير، فداخل هذا المحل كانت سكينة « كتابا قديما وجدت من يقرأه ويعيد الاعتبار لأوراقه ومحتوياته، إنه نذير ابن الحاج التيجاني الذي أصبح يدير محل

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ ، ص 31.

[2] المصدر نفسه، ص 82.

والده، ولكن مراد لا يعلم بالأمر »[1]؛ تجسد هذه الصورة الحالة الفكرية والنفسية للشخصيّات المحيطة بهذا المكان وعلاقاتها الاجتماعية، تحولت من خلاله " سكينة " إلى عشيقة لشاب يافع في مقتبل العمر، ودخلت في علاقة حب محرمة وخيانة زوجيه، حاولت من خلالها الانتقام من الرجل الذي دمّر حياتها، فأصبحت هي بدورها قنبلة لا أخلاقية تنفجر من حين لآخر، وتحول نذير بالنسبة لها موسيقى يعزف على أوتار قلبها.

ويعتبر الحي أكثر الأمكنة حضورًا في روايتنا، وهو من الأمكنة العربية التي تشير إلى معنى الحياة وحركتها الذائبة وهي كلمة تحمل دلالة الحركية والنشاط الدءوب خصوصًا أنها أمكنة آهلة بالسكان تشهد حركة الكبار والصغار.

وهذا ما يطبع حي " تقرت" في رواية" الإعصار الهادئ"، يقول البطل متحدثاً من على نافدة بيت "سكينة ":« وقفت سكينة بجوار النافدة التي تطل على الشارع، شاب وصديقته يقطعان الطريق وعلامات الانسجام بادية عليهما يبدو أن الغرام أضحى الأكسجين اليومي الذي تتنفسه المدينة، المنظر يذكرها بقصة حبها التي لم تنتبه بعد، إنها مشاعر ممنوعة ولكنها أضحت أسيرة في قلعة الأشواق التي يسيطر عليها نذير»[2] ؛ فهذا العشيق انقدها من حالة التسيب العاطفي الذي كانت تعيشه.

وطالما ارتبطت لفظة " الشارع" عادة بدلالات الازدحام والاختلاط والحركة والتنزه والترفيه عن النفس، جاء على لسان البطل : «كانت صباح تسير بخطى متأنية بجانب الطريق، لقد خرجت لتوّها من المعرض التجاري، إنها العطلة الصيفية ومن حقها كمعلمة أن تستريح قليلاُ من عبء السنة الدراسية، كانت دومًا أنيقة وجميلة وهذا ما جعل عديداً من أبناء الحي يتقربون منها؛ ولكنها دوماً تصدهم، لأنها تبحث عن رجل يحمل

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 84.
[2] المصدر نفسه، ص 218.

كل صفات الرجولة ويحتوي أنوثتها ويبني معها الأسرة التي حلمت دوماً بها»[1]؛ من هنا كان الشارع مكانًا للتسكع والتوهان، مكان للامكان، الذي يتيح لهذه الشخصيّة الامتلاء بالعالم قبل أن تلج مكانها المغلق " البيت".

يميز هذا المكان المفتوح عدم ذكر اسمه، وقد يكون هذا أمرًا طبيعيًّا في بعض المواطن، حين يعمد إلى إخفاء أسماء بعض الأماكن باعتبار أن العمل الروائي « نوع من اللعب بين الراوي والقارئ...الروائي يقدم أقصى ما لديه من مهارات الكشف والإخفاء، والقارئ يقدم أقصى ما لديه من مهارات الكشف والاستقصاء »[2]، وربما كان عدم ذكر اسم الشارع أمراً ذا أهمية في هذا المقام، إذ أن الهم الأوحد كان منصبًّا على كشف الحالة النفسية التي تمر بها الشخصيّة، و« يعرض الروائي الشوارع والأزقة ليعطي المشهد الحياتي أحداثه التي تقوم بها الشخصيات » [3]، إذ يعكس الشارع في رواية " الإعصار الهادئ " المستوى الاجتماعي للمدينة ويوحي منظره العام إلى الخوف والبؤس الاجتماعي والفوضى.

المطلب الثالث :تجليات ودلالة المقهى .

المقهى أحد مميزات المدينة، وله مكانة بارزة في حياة المجتمع ، يقصده عامة الناس، يجتمعون ويتجاذبون أطراف الحديث، ويعد من الأماكن المفتوحة : « التي تلجأ إليها الشخصيّات لتصريف لحظات العطلة أو للقيام بممارسات مشبوهة »[4]؛ ويشكل فضاء المقهى دورًا فعّالاً في أحداث المجتمع، فالمقهى وحدة دالة على المكان الذي يجتمع فيه الناس، وفيه تمتد النقاشات والأحاديث التي غالباً ما تكون حول قضايا متعلقة بالمجتمع

---

[1] بوفاتح سبقاق ،الإعصار الهادئ ،ص 88.

[2] شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1994، ص 71.

[3] نبهان حسون السعدون، شعرية المكان في القصة القصيرة جدا، قراء تحليلية في المجموعات القصصية لهيثم بهنام بردى، الطباعة والنشر، دمشق، ط1، 2012، ص 44.

[4] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 103.

والسياسة وغير ذلك.

" والمقهى " يصنف كجزء من الشارع باعتباره مكان تجمع الناس والمتواجدين في الشارع، إذ يقصدون المقهى للترفيه عن النفس أو نسبيان الأوجاع والماضي المؤلم، أو الالتقاء بالأصدقاء وتبادل أطراف الحديث.

يعد " المقهى " في رواية " الإعصار الهادئ" مكاناً مهمًّا من خلال تردد البطل وأصحاب المدينة عليه، فهو مكان يطل على الشارع، ويقصده الجميع، ويرتبط المقهى في مدينة " تقرت " بلحظات البطالة والتسكع «كان الجلوس في مقهى الحي اللاحدث الذي يتكرر يوميًّا حيث يتواجد خليط بشري غير متجانس يضم البطالين»[1]، فالمقهى يعد بمثابة مكان لتجمع العاطلين عن العمل لنفث همومهم فيه، و يعتبر الملجأ أو الهدف لكل الناس بمختلف أنواعهم وتخصصاتهم.

يقدم " المقهى " على غرار بقية العلامات المكانية من خلال رؤية البطل ووعيه بهذا المكان الذي تنهض صورته على تأطير لحظات البطالة التي تنغمس فيها الشخصيات الروائية.

لا يركز السارد على المكان فحسب، وإنما يحاول أن يجسد حالة روادها إذ نجد الروائي يصف حالة البطل في هذه الرواية داخل هذا المكان الجامع، الذي راح يترقب المارة « جلست في مكاني المعتاد قرب النافذة حتى أتمكن من مشاهدة نفس المناظر التي أكاد أحفظها، أعرف تقريبًا كل من يمرّ بجواري ، هذا عبد الحميد الطبيب الذي يقصد عيادته يوميًّا، وهذه صباح المعلمة التي يهيم بها شباب الحي ومازالت ترفض كل من يتقدم إليها، سمعت بأنها تحب شخصًا عن طريق المراسلة يسكن بمدينة ساحلية عرفته عن طريق جريدة الشروق العربي ، وهناك بعض الغرباء الذين يقصدون السوق اليومي المشهور بسلعه المستوردة والمهربة »[2]؛ فالمقهى أضحى بمثابة جريدة يومية تعكس نفسيته والسيناريو اليومي المتكرر الذي يعكس شوارع مدينته الباهتة الملامح التي

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 21.

[2] المصدر نفسه،، ص 21.

ترقص على أوتار الروتين اليومي القاتل.

ويمثل المقهى بؤرة لها دلالتها الخاصة في الرواية الجزائرية، فهي علامة دالة على الانفتاح الاجتماعي والثقافي، وقد بدا المقهى في هذه الرواية مكاناً متواضعًا يعكس الوضع الاجتماعي الذي تعيشه الشخصية «... كنت أتصفح جريدة شبه ممزقة أعطاها لي مروان »[1]؛ تجسد هذه الصورة حجم المعاناة التي أرهقت المثقف " صالح " في ظل شبح البطالة الذي يطارده.

يأخذ المقهى مكانة متميزة في الروايات التي اتخذت من المدينة إطارًا لأحداثها؛ وهذا ما نستشفه من رواية " الإعصار الهادئ " الذي يتوافر فيها ذكر المقهى ووصفه، فيظهر مكانًا للتجمعات الرجالية وعالم يقصده عامة الناس يتجاذبون فيه أطراف الحديث.

يأتي المقهى في رواية "الإعصار الهادئ " كمكان لتحرك الشخصيّات والتقائها كلما وجدت لنفسها فسحة من الزمن للتعبير عما يختلج في صدرها من مشاغل الحياة وهذا ما نلحظه في الحوار الذي جرى بين البطل "صالح" وصديقه" توفيق":

« وضعت الجريدة جانبًا وارتشفت ما بقى من كوب الشاي...

- هل وجدت ليندة فارسة أحلامك.

- طبعًا وجدتا، لقد كنت بعنابة منذ يومين، عرفتني على عائلتها وفرحوا بي كثيرا »[2].

ونجد أبرز الدلالات التي يؤشر عليها فضاء " المقهى" تحمل طابعاً سلبيًّا يحمل في طياته ما يعانيه الفرد من ضياع وتهميش، مما يؤكد ذلك أن " المقهى " سيكون مسرحًا لعديد من الممارسات المنحرفة، وهذا ما جسده قول الروائي: « وقف سليم قرب مقهى الحي، يتأمل المارة الغرباء متعمّدًا إثارة مخاوفهم وجعلهم

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 43.

[2] المصدر نفسه، ص 43.

يترددون في العودة إلى مملكته الخاصة، لقد نصب نفسه منذ زمن بعيد كزعيم لا يمكن تجاوزه، لديه كل الوقت لإثارة المشاكل، والكل يهابه لأنه بكل بساطة مستعد لتحمل كل العواقب وكل أقسام الشرطة تعرفه، لديه عدة قضايا ولكن المتابعات تتوقف احترامًا لوالده المقعد الذي كان في ما مضى رجل طيب جدًّا وكانت له مواقف إيجابية مع أهل الحي »[1]، تجسد هذه الصورة طبيعة الشرائح الاجتماعية التي تتردد على المقهى وشغلها الشاغل افتعال المشاكل، لا لشيء وإنما لإثبات وجودها وحضورها نتيجة التهميش الذي تعانيه جرَّاء الوضع المزري الذي تعايشه ؛وقد بدا المقهى في هذه الرواية مكانًا متواضعًا، يعكس الوضع الاجتماعي المتدهور الذي تعيشه الشخصيّة .

يروي السارد متحدثا عن " سليم " في مشهد آخر وهو يترقب خروج أخته من مكان عملها بالحي الإداري: « وقرر الجلوس في المقهى المقابل علّه يكتشف أموراً جديدة لا يعرفها، لم يحن بعد وقت خروجها ولكنه لن يخسر شيئًا لينتظرها وليس لديه ما يعمله، سيتمكن من مشاهدة بعض الأغاني المصورة التي تعرض على الزبائن وارتشاف كأسًا من الشاي فالجلسة مدفوعة الثمن من طرف سهام »[2]؛ وقد وجد الراوي في هذا المكان وسيلة للكشف عن العلاقة المشبوهة بين سهام ومديرها داخل المبنى الإداري، والتي تتداولها الألسن فأصبح المقهى مكان للترصد والكشف عن الحقائق كما قد يكون مكاناً لتجمع العاطلين عن العمل لنفث همومهم فيه، يقول المؤلف على لسان بطله: « جلست كعادتي، في مقهى الحي، أتابع السيناريو اليومي المتكرر ...تأملت الوجوه المنتشرة في المقهى آملاً في العثور على ملامح جديدة، وفجأة وقفت عند مشهد غريب جدًّا،

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 93.
[2] المصدر نفسه، ص 185.

رجل لم يسبق لي رؤيته هنا، إنه مراد بشحمه ولحمه يجلس بمفرده ويرتشف الشاي واضعًا وجهه بين يديه، لم أفهم دواعي تواجده المفاجئ هنا، غير أن مظاهر الإرهاق بادية عليه »[1]؛ لذلك فقد أصبح المقهى مكانًا ينسى فيه الكاتب همومه، فجعله مكاناً مفتوحاً يقصده كل الناس، فهو ركيزة أساسية في اجتماع الأشخاص، ويعد مكاناً مهمًّا في الرواية باعتباره الملاذ الحاضن للبطل وشباب مدينة " تقرت" للتخلص ولو قليلاً من همومهم ومشاكلهم ،وخاصة مشكلة البطالة التي تطاردهم آناء الليل وأطراف النهار.

إذاً المقهى أهم نقطة التقاء للرجال، ومكان لقراءة الجرائد وشرب القهوة، كما يتحدث الناس عن الأشياء، الصغيرة المتعلقة بالحياة اليومية وعن الأحاديث الكبيرة في السياسة، يقول السارد على لسان "صالح" : « كان النادل يحتفظ لي يوميًا بالجرائد التي يتركها زبائن المقهى على طاولاتهم، جريدة الخبر تثير اهتمامي لأنها تتكلم عن كواليس السلطة ومعاناة الجزائر العميقة وتتميز بكاريكاتير يعكس حالة البلاد والعباد »[2]؛ فالشخصية في الرواية كفيلة باستدعاء المكان وخلقه، إذ لا يمكن للشخصيّة بأية حال من الأحوال لأن تنفلت من قبضة المكان، فهو من يرسم لها صورة مستعارة منها ويجسد ذاتها لتنظر إلى صورتها من خلال صورة المكان.

إنّ «إسقاط الحالة الفكرية أو النفسية للأبطال على المحيط الذي يوجدون فيه يجعل للمكان دلالة تفوق دوره المألوف كديكور، أو كوسط يؤطر الأحداث، إنه يتحول في هذه الحالة إلى محور حقيقي »[3]؛ أي أن مدلول المكان في الروايات الحديثة أصبح يحمل شخصيّات شعريّة في علاقته بالشخصيّات الروائية، وقد نجح الروائي في جعل المكان الموصوف معبّرًا عن الطبيعة النفسيّة والفكريّة لشخصيّات لروائية.

---

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 201، 204.

[2] المصدر نفسه، ص 22.

[3] حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص 71.

ويبرز المقهى في موقف آخر حالة " مراد " المزرية بعد أن فقد منصبه بعد سنوات من العمل« تاه في بحار الصمت...الرجل مازال يعيش تحت تأثير الصدمة، يمكن اعتباره من الضحايا الجدد الذين ينضمون من حيث لآخر إلى المجموعة الصوتية التي تتواجد دوما هنا »[1]؛ وعلى الرغم من ضيق المقاهي واختلاطها، إلا أنها تمثل مكان استراحة لكثير من الزبائن تساعدهم على نسيان ولو قليلا من همومهم والتفريغ عما يختلج صدورهم من أعباء ومشاكل الحياة كما هو حال " مراد " الذي لم يجد مكانًا يستريح فيه من متاعب ومشاكل فصله عن منصبه غير هذا المكان الذي وجد فيه ضالته لنسيان ما يمكن نسيانه، ولكن« من سوء حظه أن المقهى سيغلق قريباً، سيضطر إلى البحث عن فضاء آخر لممارسة شعائر الحزن التي بدأ يهيم بها، من التمتع بكل الصلاحيات ونعيم السلطة إلى جحيم الواقع ومخالطة أوباش الطبقة المسحوقة »[2]، وبمجرد غلق المقهى سيضيع مكانا رئيسيا للعلاقات الاجتماعية والتقاء الأشخاص وتحول المقهى في ما بعد إلى« صالة عرض للسيارات »[3]؛ وأصبحت الشخصيات مضطرة للبحث عن أمكنة بديله لتجديد كيانها.

ومن خلال قراءتنا لصورة المقهى في رواية " الإعصار الهادئ" نجد أن أبرز الدلالات التي تشير إليها تحمل طابعاً سلبيًا ينبئنا بما يعانيه الفرد من ضياع وتهميش .

يرتبط " المقهى " في مدينة " تقرت" بـــلحظات البطالة والتسكع وبث الهموم والمشاكل التي تحيط بالفرد وبالأخص مشكل البطالة الذي يشكل هاجسًا بالنسبة لهم، " والمقهى " مكان خاص بالرجال دون النساء، يقدم فيه غالباً الشاي والقهوة .

وحاول السارد من خلال هذا الفضاء المكاني إبراز الحالة التي عليها رواد المقهى، فهو مكان الالتقاء والانبعاث السردي ومكان للسمر والمؤانسة وتبادل أطراف الحديث، والنقاشات من حين لآخر، وقد لاحظنا

---

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 205.

[2] المصدر نسفه، ص 206.

[3] المصدر نفسه، ص 230.

جليًّا تمكن الروائي في نسج وبناء عناصر هذا المكان، ومن ذلك إبداعه لذلك التوافق بينه وبين الشخصيّات التي اخترقته، بل إنه عمد إلى أنسنة المكان، إذ لاحظنا الحضور القوى " للمقهى " في سير أحداث الرواية، بل أعطته بعداً مذهلاً، باعتباره مصدر راحة نفسيّة لا تسبه تلك التي يعيشها الشخص في بيته أو عمله، و" المقهى" تكتسب قيمة جماليّة لا تسبه مثيلاتها.

وبصورة عامة يمكننا القول إن فضاء المقهى عند الروائي " بوفاتح سبقاق " يطغى عليه الحضور المكثف للشخصيّة على التفاصيل والصفات الطبوغرافية، فهو فضاء الشخصيّة بامتياز، لما يمنحه من حرية البوح عما يختلج في دواخل النفوس من مكبوتات، فنرى الشخصيّات تتحرك أمامنا وكأنها على خشبة المسرح، بمعنى أن الكاتب لم يركز على الوصف الطبوغرافي في للمكان بقدر ما ركز على التفاعل بين الشخصيّة والمكان.

إن المقهى وهو من الأماكن المفتوحة التي تتواجد فيها الشخصيّات هو المكان المفضل للشخصيّات المثقفة في رواية " الإعصار الهادئ" وقد اختارت هذه الشخصيّات المقهى لتمارس فيها البطالة بعد أن وضعها الواقع المؤلم على هامش الحياة، وقد وظف الروائي "بوفاتح سبقاق" هذا النوع من الأمكنة ليكشف من خلالها على الطبيعة الفكرية والنفسية للشخصيات الروائية.

المطلب الرابع :تجليات ودلالة المطار.

المطار هو مرفق إقلاع ووصول الطائرات، ويشكل مدرج هبوط، وقد يتميز بمواصفات خاصة تتناسب مع حجم ونوع الطائرات، ويندرج هذا المكان ضمن الأماكن المفتوحة باعتباره الجامع لمختلف أصناف الناس والجنسيّات ويعدّ المطار بمثابة ذلك الفضاء الذي يستلهم الشخصيّة فتلجأ إليه للتخلص من الشحنات السلبيّة التي تسجن أحلامها وتقيّدها وتفرج عن كل المكبوتات من خلال توجهها إلى مثل هذه الأمكنة.

لعلّ الأماكن المفتوحة هي الأماكن التي استهلت البطل وزادت من تحركاته وأراد الروائي في الرواية ربط الأماكن حتى يوسّع البناء الروائي ويتتبع الشخصيّة البطلة .

انتهت الأزمة التي مرّ بها " صالح " فوجد طريقا جديدًا، وزالت أوجاع البطالة التي كادت تذمر طموحاته، لما لا والمطار صار وجهته الأخيرة للتخلص من الماضي الذي عرقل مسيرة حياته، بعد وصول " صالح " إلى المطار رفقة صديقة " توفيق " حاول أن يخفي اشتياقه إلى كل أحبائه وأبناء بلده، أن توفيق اتخذ الأسلوب نفسه حتى لا يحس صديقه بمدى حزنه على فراقه، يقول السارد:

«- أتمنى لك حظا سعيداً ورحلة موفقة ولست لحاجة إلى أو أوصيك بأخذ كل احتياطاتك وكن حذرا...

- لا تخشى شيئًا توفيق سأعرف كيف أتدبر أموري هناك .

- أرجو أن تتصل بي هاتفيا فور وصولك إلى الشارقة »[1]

أحسّ البطل بنوع من الفراغ بعد وداعه لصديقه وتلقيه لنصائحه فهو في طريقة إلى الشارقة للظفر بعمل هناك، فراح يتأمل الوجوه داخل المطار.

حاول السارد أن يأخذنا معه في رحلة البطل هذه والتي انتهت بدخوله إلى قاعة الركوب للإبحار بعيدا عن مدينة " تقرت " إذ يقول: « دخلت قاعة الركوب، جلست بمحاذاة امرأة ترتدي جلباباً مميزًا، بعض المسافرين ذوي الملامح الخارجية يتبادلون أطراف الحديث...أخذت مكاني قرب نافذة الطائرة حتى يتسنى لي إلقاء نظرة أخيرة عن عاصمة البلاد.... »[2]؛عاش البطل حياته متنقلاً من مكانٍ إلى آخر داخل وطنه إلى أن انتهى به الزمن وأخذه خارج بلاده فالأمكنة دعّمت شخصيّة البطل وجعلتها تضفي على الرواية بشكل كبير جمالاً، والأيام ابتسمت له لأنه سيعيش حلمًا عميقًا في عالم غير عالمه.

وكانت الأمكنة المفتوحة حاملة لثنائية الدلالات السلبية والإيجابية وهذا ما دعم الخطاب الروائي، وتعتبر الرواية من أهم الفنون الأدبية التي عينت بدراسة الأمكنة، فكان من نصيب رواية " الإعصار الهادئ" أن تركز

[1] بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، ص 270.

[2] المصدر نفسه، ص 272.

دراستها على الأماكن المفتوحة والمغلقة، فجاءت الأماكن المفتوحة فضاءً واسعًا زادت من حركية الشخصيّات والأحداث.

الخاتمة

هذه الخلاصة ليست خاتمة لهذا البحث، لأنه مهما سعينا إلى الإلمام بهذا الموضوع والوقوف على نقاطه الأساسيّة، فإنه دون شك نجده يحتاج إلى إضافات وإيضاحات كثيرة، كما أننا لا نؤمن بنقطة نهاية في البحث بصفة عامة والنص الأدبي بصفة خاصة، فقد تكون هذه النتائج التي توصلنا إليها فاتحة لجملة تساؤلات أخرى، لأن قراءة النص وفهمه يختلف من قارئ لآخر وهذا ما يجعله حيًّا مستمرًا، ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال قراءتنا لهذا الموضوع ما يلي:

- إن الرواية شكل من الأشكال الأدبية المهمة على الساحة الأدبية، فقد استطاعت الرواية العربية عامة، والجزائرية خاصة في أقل من قرن أن تحدث صدى واسعا إلى جانب الأجناس الأدبية الأخرى كالشعر والمسرح....وغيرها.

- الرواية هي الحاضنة للعناصر السردية وخاصة عنصر المكان الذي وجد مجالا أوسع للتجلي في وسط هذا الفن.

- المكان هو المادة الجوهرية للكتابة الروائية، وله دور فعال في بناء معالم النص الروائي من خلال ارتباطه بالأحداث السردية التي تساهم في تدعيم الإبداع الروائي.

- يشكل المكان علاقات ورؤى متعددة، باعتباره نظاما دقيقا في ربط العناصر الروائية.

- يخترق المكان حياة الإنسان، ويحس بكينونته أينما حلّ، ويلقي بظلاله عليه، إنه يعيش فيه ومعه، ولا شيء في هذا الكون منفصل ومتحرر عن المكان.

- يعتبر المكان هو الارتكاز على تجربة يعيشها الإنسان بخياله وحدسه.

- القارئ لرواية " الإعصار الهادئ" يكتشف أن الكاتب يعالج أزمة المثقف العربي وما يعانيه من اضطهاد وتهميش.

– تطرقت الرواية المختارة إلى طرح قضايا وإشكالات الواقع الاجتماعي للفرد الصحراوي، وقد أدى هذا الطرح لمختلف هذه القضايا إلى تعدد الأمكنة وتنوع وظائفها وأبعادها الدلالية .

– إيراد الأماكن للروائي الجزائري ووصفها وصفا دقيقا، إذ هي من المعالم التي تثبت علاقته مع فضاءات متعددة.

– ركز البحث على تتبع تطور فكرة المكانية لدى الروائي " بوفاتح سبقاق"، من خلال دراسته لرواية الإعصار الهادئ "، والصورة التي حملتها الرواية عن المكان أدت إلى الوقوع في ثنائية الأماكن المغلقة والمفتوحة.

– يعد البيت من الأماكن المغلقة التي تلجأ لها الشخصية للتقليل من معاناتها، فالمكان يمثل حياة الإنسان واستقراره وسكينته ، إذ يساهم في تكوين الشخصية لدى الأفراد ، إلا أن الروائي في " الإعصار الهادئ " لم يوضح هذه الدلالة الإيجابية التي يحظى بها البيت، لأن الشخصية وبمجرد لجوءها إليه تدخل في صراع بين أزمة الواقع وحالته النفسية.

– أولت الرواية عناية خاصة بفضاء المدينة ، وقد برزت صورة المدينة عالما يعكس المشاكل العويصة التي يعاني منها الفرد الصحراوي من فقر وتهميش وبطالة.

– والمدينة في رواية الكاتب ليست مجرد بيوت وأحياء وشوارع وطرقات ممتدة وإنما هي أيضا مكان لتجربة الذات الساردة تكشف عن الحالة التي يعانيها المجتمع، وتمثل مكانا طاردًا للأبطال يضيق بالشخصيّة ويبرز عامل القهر والتهميش.

– جاءت لغة هذه الرواية سهلة قريبة المأخذ، أما الصور في غالبها صور موروثة مستهلكة، كما استعانت الرواية في تقديها لأمكنتها بتقنية الحوار في حديث الشخصيّات مع بعضها البعض.

الملحق

I- نبذة عن حياة الروائي " بوفاتح سبقاق "

بوفاتح سبقاق قاص ورائي من الجزائر من مواليد 07 جانفي 1969 بتقرت، بدأ النشر في الصحف الوطنية منذ 1988م، نشر في مجلة العربي الكويتية وأسبوعية أخبار الأدب المصرية، حاز على المرتبة الثانية في مسابقة عبد الحميد بن هدوقة للقصة القصيرة، أصدرت الناقدة الأردنية "سعاد جبر" دراسة نقدية حول أعماله بعنوان: ثنائية النخبة والمواطن في كتابات بوفاتح سبقاق القصصية، حاز على جائزة همسة للقصة بجمهورية مصر العربية سنة 2015، عضو اتحاد الكتاب الجزائريين وعضو في جمعية الجاحظية.

صدرت له الأعمال التالية:

- رجل الأفكار: مجموعة قصصية نشرت سنة 2000.
- الرقص مع الكلاب: مجموعة قصصية نشرت سنة 2002
- رواية الإعصار الهادئ: سنة 2007. [1]

[1] بوفاتح سبقاق، زوابع فكرية...حين سيافر...، نقلا عن الموقع الإلكتروني:http://tggnews,com,18/04/201611:00

II- مضمون الرواية:

"تقرت" عاصمة وادي ريغ ومقر سلطنة بني جلاّب، المدينة الجنوبية الصحراوية التي ذاع صيتها عبر كامل التراب الوطني وخارجه كمدينة سياحية بالدرجة الأولى، كانت هي الإطار المكاني للرواية، هذا الوجه المعروف للمدينة أراد صاحب الرواية أن يعريه ويظهره على حقيقته تماما مثل ما نقل إلينا حالات ووقائع معروفة ومتعارف عليها، إلاّ أن أسلوب نقل تلك الأحداث أعطاها صدى آخر وبعداً مختلفا عما هو مألوف.

تعتبر بمثابة ملحمة أدبيّة إنسانيّة عرضت كل هموم الإنسان، وكشفت زيف عديدٍ من الحقائق المتداولة، يمكننا إدراجها ضمن الأسلوب الواقعي، لتناولها لعديدٍ من القضايا الاجتماعيّة، فالبطالة المحور الأساسي للرواية، وكذا العنف وتغير القيم الاجتماعيّة.

فهي تعكس يوميات شباب بطال اسمه "صالح" تخرج من الجامعة وأدى واجب الخدمة الوطنية وبقي يعيش البطالة مثل كثيرون من شبان الحي، فمدينة " تقْرت " التي قدمها لنا "سبقاق" مختلفة تماما عن ذلك النموذج الإعلامي الذي يعود بين الفنية والأخرى بمناسبة زيارة رسمية لمسؤول حكومي للمدينة، فالمدينة عكس ذلك يحيط بها الآلام والأوجاع وآهات مواطنيها الذين لم تكن الحياة لطيفة معهم بالرغم من لطفهم وكرمهم.

لم تعد "تقرت" إذن تلك المدينة السياحية التي يعشقها الأجانب، إنما هي بؤرة من بؤر البطالة، العنوسة، العنف... وغيرها من الآفات الاجتماعية المتفشية في الوطن.

تتوالى أحداث الرواية،" وتساهم الشخصيّات، في رسم لوحاتها من خلال الإحاطة بالبطل "صالح"، فصديقه "توفيق" يمارس نشاطاته ويسافر إلى الخارج للتجارة ،إلى جانبه نجد "سهام" التي تشتغل سكرتيره المدير العام في إحدى الشركات وتربطها علاقة غرامية مع المدير، وبالرغم من منصب العمل إلا أن شبح العنوسة يطاردها، لذا أرادت التقرب من خلال محاولتها تقديم وعود إلى صالح للعمل من أجل الظفر به كزوج، من جانب آخر نجد النموذج الأنثوي لصالح وهي "صابرين" شاعرة متخرجة من الجامعة تعاني البطالة

وتبحث عن عمل، وتكون مجبرة على التخلي عن مبادئها من أجل الظفر بوظيفة، إضافة إلى عديد من الشخصيات التي ساهمت من خلال أدوارها المهمة في تحريك العمل الروائي أمثال "مراد" فهو المدير العام وزير نساء، يهوي ممارسة الخيانة الزوجية، "سكينة" زوجة مراد هي الأخرى وانتقاماً منه تخونه عن قناعة تامة،" مروان" نادل المقهى الذي تحول إلى إرهابي، "صباح" معلمة الحي ملتزمة ترغب في الزواج، وهناك شخصيات أخرى ثانوية: والد صالح، أم صالح، الحاجة الزهرة، أم سهام، سليم، يوسف، إسماعيل، الحاج مختار، زيان، نذير، ليندة، جلول وآخرون.

وبعد معاناة طويلة مع البطالة يقرر "صالح" السفر إلى إحدى دول الخليج للعمل وبالتالي يحقق نقلة نوعية في حياته، بينما تلقى الشخصيّات الأخرى مصيرًا مختلفًا والكل يجد ضالته، فتوفيق "يتزوج ليندة ويواصل نشاطه التجاري، "سهام" يتم تحويلها إلى قسم الأرشيف بعد طرد مديرها المفضل، "مراد" تنهي مهامه وتضيع حياته ويجد مكانه في السجن بعد أن قتل زوجته وعشيقها، "مروان" يتحول إلى إرهابي ويقضي عليه في إطار مكافحة الإرهاب، "صباح" تتزوج بشخص عرفته عن طريق المراسلة، "صابرين" يقوم مراد بتوظيفها بعد أن تنازلت عن مبادئها.

بهذه الطريقة يكون الإعصار قد بلغ أشد قوّته إلا أنه يبقى هادئًا يوحي بما تخبئه في ثناياها حتى وإن قام المؤلف بتسوية كل الأوضاع في نهاية الرواية، إلاّ أن الحالة تنذر بقدوم الإعصار الحقيقي، إعصار تصنعه مختلف تلك المظاهر الاجتماعيّة والأوضاع التي تحيط بشخصيّات الرواية والتي ستدفع بها لا محال إلى الانفجار، فالحل ليس في الهروب خارج الوطن ولا التخفي وراء أقنعة لا تناسبنا، لذا تبقى الحالة تندر بالتغير والتجدد، حتى وإن كان عنيفا من خلال هذه الأحداث وتطور سيرها يمكن لنا أن نقول إن الرواية واقعية بالدرجة الأولى، إلا أن صاحبها قدم بعض الوقائع في قالب يوحي بنوع من التقليدية على مستوى الفكر الاجتماعي، وهذا يعكس طبيعة الثقافة والتربية في المحيط الذي ترعرع فيه الكاتب، مما أضفى على بعض الأحداث والمواقف نوعا

من التحليل العرفي، ليبقى الإطار المكاني للرواية عنصراً مهما يستهوي فضول القارئ الذي لا يعرف خبايا تلك المناطق التي كثيرا ما شكل عنها نظرة مغايرة عن الواقع، ليكشف بذلك تناقضات ذلك المجتمع.

وختاما يمكن أن نحدد الأفكار والأحداث التي تم تناولها في الرواية كما يلي:

- ظاهرة البطالة بين خرجي الجامعة.
- وضعية الشباب في المدن الداخلية والجنوب على العموم.
- استغلال المناصب والنفوذ.
- الإرهاب أسبابه ونتائجه، وسنوات الإرهاب وتأثيرها على الناس.
- الخطاب الديني في المساجد.
- الخيانة الزوجية.
- ظاهرة الانترنيت فوائدها وسلبياتها.
- الوضعية الثقافية والحياة الأدبية وواقع المثقف بالجنوب.
- التمثيل النيابي في الجزائر.
- مكانة الجنوب في وسائل الإعلام.
- الأوضاع الاقتصادية والسياسية بصورة عامة.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية ورش

أولا: المصادر

1- بوفاتح سبقاق، الإعصار الهادئ، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007.

ثانيا: المراجع

I / العربية

1- الصادق قسومة، الرواية مقوماتها ونشأتها في الأدب العربي الحديث، مركز النشر الجامعي، تونس، دط، 2000.

2- الطيب بوعزة، في ماهية الرواية، مؤسسة الإنتشار العربي ، لبنان ط 1،2013 .

3- سامي سويدان، فضاءات السرد ومدرات التخيل، دار الآداب، بيروت، ط1، 2002.

4- سليمان كاصد، عالم النص، دراسة بنيوية في الأساليب السردية ، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، د ط، 2003.

5- سمير روحي الفيصل، الرواية العربية، البناء والرؤيا، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.

6- سيزا قاسم، بناء الرواية، دار التنوير، بيروت، دط، 1985.

7- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1994.

8- شعبان عبد الحكيم محمد الرواية العربية الجديدة، دراسات في آليات السرد وقراءات نصية، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط1، 2010.

9- صالح ولعة، المكان ودلالته، في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.

10- عادل ضرغام، في السرد، الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010.

11- عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية العربية المعاصرة، الرجل الذي فقد ظله نموذجا، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2006.

12- عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية، الصورة والدلالة، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2003.

13- عبد القادر ابن سالم، مكونات السرد، في النص القصصي الجزائري الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2001.

14- عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائري، دط، 1983.

15- عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سردية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط ، 1995.

16- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1998.

17- عمر عاشور، البنية السردية، عند الطيب صالح، البنية الزمنية، والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ، 2010.

18- فاطمة عيسى أبو رغيف، قراءات نقدية، في نصوص روائية، دار الينابيع، سوريا، ط1، 2010.

19- لحسن كرومي، الرواية بين ضفتي المتوسط، منشورات المجلس، الجزائر، دط، 2011.

20- محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، د،ط، 2005.

21- محمد مصطفى علي حسانين، إستعادة المكان، دراسة في آليات السرد، رواية السفينة لجبر ابراهيم نموذجا، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، دط، 2004.

22- مصطفى الضبع، استراتيجية المكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، دط، 1998.

23- نادر أحمد عبد الخالق، الرواية الجزائر الجديدة، بحوث ودراسات وتطبيقات دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق، ط1، 2009.

24- نادية بوشفرة، مباحث السيميائية السردية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، د ط، 2008 .

25- نبهان حسون السعدون، شعرية المكان في القصة القصيرة جدا، قراءة تحليلية في المجموعات القصصية لهيثم بهنام بردي، تمور للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق، ط1، 2012.

26- نقلة حسين أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الرقي، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2011.

27- واسيني الأعرج اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1986.

28- ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986.

29- ياسين النصير، الرواية والمكان، دراسة المكان الروائي، دار نينوي، سوريا، ط2، 2010.

30- محمد قرانيا، ظواهر التجديد في قصيدة الأطفال في سورية، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2008.

31-ابراهيم احمد ملحم، شعرية المكان، قراءة في شعر مانع سعيد العتيبة عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011.

32-أحمد حمد النعيمي، الإيقاع الزمني في الرواية العربية المعاصرة، الدار العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004.

33-حميد لحميداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط3، 2000.

34-زهير الجبوري، مرايا السرد، مقاربات تنظيرية وتطبيقية في السرد العراقي الحديث، بغداد، ط2، 2013.

35- نادية بوشفرة، معالم سيميائية، في مضمون الخطاب السردي، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، د ط، 2011.

II / المترجمة:

1- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدار والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1984.

2- جيرالد برنس، علم السرد، الشكل والوظيفة، ترجمة باسم صالح ، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، 1971.

3- يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، ترجمة سيزا قاسم، مجلة البلاغة المقارنة، القاهرة، الجامعة الأمريكية، العدد 6، 1986.

4- جيرالد برنس، قاموس السرديات، ترجمة السيد امام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2003.

ثالثا: المعاجم.

1- ابراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطانبول، الجزء1، دط، دس.

2- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان،دط،1987.

3- الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية، لبنان، الجزء الرابع، ط1، 2003.

4- أبو الفضل جمال الدين مكرم بن منظور، لسان العرب، مجلد13، دار صادر، بيروت، ط1، 1990.

ثالثا: المجلات

1- سعيد محمد الفيومي، فلسفة المكان في المقدمة الطلبة في الشعر الجاهلي، مجلة الجامعة الإسلامية، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، المجلد الخامس، العدد الثاني، 2007.

2- عبد الله بعد الرحاوي، ثقافة المكان وأثرها في الشخصية الروائية، رواية ليلة الملاك أنموذجا، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، معهد نينوي، العرق، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، 2011.

3- سليم بتقة، نظرية المكان وأهميته في العمل الروائي، مجلة المخبر، ابحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السادس، 2010.

4- كلثوم مدقن، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطليب صالح مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد الرابع، 2005.

رابعا: المواقع الإلكترونية

1- سالم الحسيني، الوصف الروائي من جهة أخرى، نقلا عن الموقع الإلكتروني:
WWW.Shalhaya.com,12/04/2016,15:30

2- بوفاتح سبقاق، زوابع فكرية...حين سيافر...، نقلا عن الموقع الإلكتروني:
http://tggnews,com,18/04/201611:00

الفهرس

فهـــــــــــــرس الموضوعـــــــــــات

الموضوع	الصفحة
البسملة	
الشكر والتقدير	
الإهداء	
مقدمة	أ-د
مدخل:	7-2
الفصل الأول: المكان بحث في المفاهيم والأهمية والأنواع (التأسيس النظري)	45-9
المبحث الأول: حفريات المكان وأهميته في العمل الروائي	28-9
المطلب الأول مفهوم المكان لغة واصطلاحا	16-9
المطلب الثاني: الفرق بين المكان والفضاء	19-17
المطلب الثالث: المكان وعلاقته بالإبداع الروائي	24-19
المطلب الرابع: أهمية المكان في بناء الرواية	29-25
المبحث الثاني: أنواع المكان وعلاقته بالأحداث والشخصيات	45-29
المطلب الأول: أنواع المكان	32-29
المطلب الثاني: علاقة المكان بالأحداث والشخصيات	40-32
المطلب الثالث: الوصف المكاني	45-40
الفصل الثاني: تجليات المكان ودلالته في رواية " الإعصار الهادئ"	89-47
المبحث الأول: المكان المغلق تجلياته ودلالته في رواية " الإعصار الهادئ "	69-47
المطلب الأول: تجليات ودلالة البيت	56-47
المطلب الثاني: تجليات ودلالة المبنى الإداري والمبنى الأمني	61-57
المطلب الثالث: تجليات ودلالة مقهى الأنترنيت ونادي الشباب الأدبي	66-61
المطلب الرابع: تجليات ودلالة المسجد ومكتب البريد	68-66
المبحث الثاني: المكان المفتوح تجلياته ودلالته في رواية الإعصار الهادئ	89-68
المطلب الأول: تجليات ودلالة تقرت	77-68
المطلب الثاني: تجليات ودلالة الشارع	81-77
المطلب الثالث: تجليات ودلالة المقهى	87-81
المطلب الرابع: تجليات ودلالة المطار	89-87
الخاتمة	94-91

الملحق	97-94
قائمة المراجع	102-99
فهرس الموضوعات	105-104